الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد Université Abou Bekr Belkaid

تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغة

قسم اللغة والأدب العربي

2013
FacLIT02095

الموضوع

القيم الإسلامية ودورها الحضاري عند مالك بن نبي

مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي مسار حضارة عربية إسلامية

إعداد الطالبة:

* فاطمة بور

تحت إشراف:

أ.د. محمد عباس

السنة الجامعية: 2012-2011

TAS_200_25/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغة

قسم اللغة والأدب العربي

الموضوع

القيم الإسلامية ودورها الحضاري عند مالك بن نبي

مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي مسار حضارة عربية إسلامية

إعداد الطالبة:

* فاطمة بور

تحت إشراف:

أ.د. محمد عباس

السنة الجامعية: 2012-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل إنسان حمل لواء الدعوة والإصلاح

شكر وتقدير

أشكر الله على عموم نعمه، الذي منحني الصحة والعافية

ووفقني إلى إنجاز هذا العمل.

أتقدّم بالتقدير الخالص لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور "محمد عباس"

الذي قبل الإشراف على هذه الدراسة، وتابع بصبر وتفان

مراحل إنجاز هذا البحث من بدايته إلى نهايته.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة

على قبولهم مناقشة هذا البحث وتقديم نصائحهم القيمة.

وأعترف بالجميل لكل الذين قدّموا لي يد المساعدة، من أساتذة

وطلبة وعمّال المكتبات.

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الحضارة السؤال الأول الذي واجه الفكر الإسلامي، وكان وراء كل نقلات هذا الفكر وانتقالاته، سواء على صعيد المنهج والرؤية أو على صعيد النماذج والمثل، فالأفكار الحضارية تدفقت مع زعماء الإصلاح الإسلامي، والذين جمعتهم هموم النهضة وأحلامها، فكان لدينا مفكرون من جغرافيات شتى، ومجتمعات مختلفة، وثقافات متنوعة، ومن أبرز أعلام النهضة الحضارية في الجزائر "مالك بن نبي"، الذي كان صاحب نظرة عميقة في البناء الحضاري، حيث ركّز أفكاره على القضايا الأساسية في العالم الإسلامي، فدرس مشاكل النهضة والثقافة محاولاً معرفة أسباب خروج المجتمعات الإسلامية من دورة الحضارة المعاصرة، فاهتم بدراسة مقوّمات الشخصية الإنسانية، وركّز على تأثير الجانب الروحي في دفع هذه الشخصية نحو بناء الحضارة، مما جعلها عنصر الفاعلية في دورة الحضارة الإنسانية، هذه الحضارة التي تستوعب الديانات والثقافات المختلفة، وتذوب في رحابها كل الفروقات الجنسية والعرقية والإديولوجية والاجتماعية، فهي تنظر للإنسان كأساس لبناء الحضارة، فتعمل بذلك على تأهيله ليكون فاعلاً في كل الجوانب الحضارية. وقد وقع اهتمامي على شخصية "مالك بن نبي" لأني سبق وأن التقيت مع شخصية جزائرية أخرى حملت على عاتقها هموم نهضة المجتمعات الإسلامية، وهو الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي لامست مقالاته بالدّراسة في مذكرة لنيل شهادة ليسانس، فارتأيت أن أواصل في هذه الدراسة لأبين جهود رجال الإصلاح الجزائريين، والوقوف على آرائهم الحضارية، ومالك بن نبي يعدّ من أبرز هاته الشخصيات، وقد سرت في بحثي متبعة الخطة التالية:

بدأت بمدخل بينت فيه مقوّمات النهضة عند العرب قبل الإسلام ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، خصصت الأول للحديث عن الأسس الحضارية في تفكير بن نبي، فوقفت على تعريف المفاهيم الأساسية في البحث، الممثلة في الدين، والإسلام والحضارة، ثم بينت التوجه الفكري عند مالك بن نبي حيث وقفت عند تفكيره المنطقي والأخلاقي، ومعنى الفاعلية والشهادة في تفكيره . أما الفصل الثاني فتطرقت فيه لعوامل البناء الحضاري عند مالك بن نبي، فبدأت بعناصر البناء الحضاري

المتمثلة في الإنسان الحضاري، والزمن والتراب ثم بينت العوالم في تفكيره بدءً بعالم الأفكار ثم الشخوص ثم الأشياء، أما الفصل الثالث فخصصته للقيم الإسلامية، مبينة ضوابطها ووظائفها المختلفة في حياة الإنسان، وأنهيت البحث بخاتمة كانت عصارة النتائج التي توصلت إليها، وقد حاولت من خلال بحثي أن أبين كيف تسهم القيم الإسلامية في بناء الصرح الحضاري للأمم، وكيف يمكن للأمّة الإسلامية أن تعيد بناء مشروعها الحضاري الجديد، وتستل خيوط هذا المشروع من فكر رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، وقد انتهجت في دراستي هذه المنهج الاستقرائي الذي حاولت بواسطته إعادة قراءة ما جاء في فكر مالك بن نبي من أفكار حضارية. وأزحت اللثام عن دور القيم الإسلامية في عملية البناء الحضاري، وقد ساعدتني مكتبة مالك بن نبي الثرية بالمراجع في هذا الموضوع، ومن أهمها "شروط النهضة" و"وجهة العالم الإسلامي" و"الظاهرة القرآنية" و"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، وغيرها من المراجع التي لامست الموضوع من قريب أو بعيد ،ووقفت على دراسة فكر مالك بن نبي من جوانبه المتعددة، وإنّني إن أنهيت هذا العمال فأشكر الله عزّ وجلّ على توفيقه، كما أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي الدكتور محمد عبّاس على منحه لي يد العون، بنصائحه وإرشاداته القيمّة، وصبره عليّ خلال مشوار هذا البحث، راجية من الله عزّ وجلّ أن يجازيه عنّي أفضل الجزاء لما بذله من جهد سواء في مذكرة الليسانس أو مذكرة الماستر، متمنية أن نواصل المشوار بإذنه تعالى وعلى الله قصد السبيل.

مدخل

مقومات النهضة عند العرب قبل الإسلام

لقد ارتبط تاريخ الإسلام بتاريخ العرب،إذ أنهم الأمة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لتبليغ دين الإسلام، وما فيه من آداب وحكم وفضائل إلى أمم الأرض، فالعرب قد هيئوا تاريخيا لأجل النهوض بأعباء هذه الرسالة الإسلامية العالمية ،فالله سبحانه وتعالى ما كان ليجعل هذه الرسالة السماوية العظيمة لغير أمة عظيمة، إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلا الجليل من الأمم والرجال. وقد اجتمعت مقوّمات ومؤهلات في أمة العرب تجعلها مؤهلة لحمل هذه الرسالة العظيمة ومن أهمها:

*المؤهل النفسي: إنّ العرب قوم يعتزّون بقوميتهم وانتمائهم، وهم قوم ذوو عزّة وإباء وأنفة لذلك حرص الله سبحانه وتعالى حين خاطب العرب في آيات كثيرة من كتابه أن يعزّز فيهم هذا الإحساس بالعزةّ القومية، فقال تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ﴾[1]

والقصد من ذلك هو أنّ الله سبحانه وتعالى قد اختار لسان العرب ليكون لسان القرآن دون جميع الألسنة، جلبًا لهم حتّى يعلموا أنّه أنزل لهم وفيهم قبل النّاس كلهم، بل وقد اختار رجلاً منهم ليبلغهم هذا الدين العظيم ليزدادوا عزّة وتمسكًا به، قال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم﴾[2]

هذه الرحمة التي جعلت النّاس يلتفون حول هذا النبيّ. طلبًا للأمان والحماية من كل الأنظمة الوضعية الجائرة.

*المؤهل الجغرافي: ولد الإسلام في حضن الجزيرة العربية التي "تشغل القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وهي أكبر شبه جزيرة في العالم تزيد مساحتها على ثلاثة ملايين كيلومتر مربّع"[3]، أما عن الحدود الجغرافية لهذه الجزيرة فنجد"من الشرق الخليج العربي المعروف عند اليونان بالخليج الفارسي ومن الجنوب المحيط الهندي المسمى ببحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر المعروف باسم الخليج

[1] سورة يوسف الآية 02

[2] سورة التوبة الآية 128

[3] -حسين الحاج حسن :" حضارة العرب في عصر الجاهلية " ، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ،ط4 ،2006،ص 22.

العربي الذي يدعى بحر القلزم، أما حدها من الشمال يمتد بالفرات حتى الخليج العربي"[1] وقد قسم جغرافيو العرب الجزيرة إلى خمسة أقسام هي: تهامة ونجد والعروض واليمن والحجاز، ومن أشهر مدن الحجاز مكّة، وهي من المدن الحضارية التي لها شأن يذكر في تاريخ شبه الجزيرة العربية، وقد كانت مكة مركز الإشعاع الحضاري لنزول آخر الرسالات الإلهية بها فمكّة تقع "في واد طويل تحيط به الجبال من معظم الجهات وتخفيه، حتى أنّ أبنيتها لا يراها القادم إليها إلاّ إذا اقترب منها وأطلّ على الوادي، وقد سهلت هذه الجبال على أهلها مهمة الدفاع عنها، ويرجع تاريخ مكة إلى عهود قديمة جدًّا"[2] وقد عرفت مكة بقدسيتها فقد وردت في القرآن الكريم بعدّة أسماء "بكة في سورة آل عمران الآية 96. وأم القرى في سورة الأنعام الآية 92، والشورى الآية 07، كما سماها البلد الأمين وحَاضري المسجد الحرام في سورة البقرة الآية 196"[3].

ولأن مكة تتوسط الجزيرة العربية، فقد كانت بعيدة عن كل المؤثرات الخارجية في الطباع والألسنة، هذا ما جعلها تحافظ على الطبع العربي الصميم الذي تفوح منه رائحة العزّة والشهامة والشرف، كما جعلها تحافظ على لسانها الفصيح وتبتعد عن كل لحن ولكنة في لغتها السليمة.

*__المؤهل الديني__: تقع الكعبة المشرفة في مكّة، هذا البيت الذي اتصف بقداسته على مرّ العصور، مما جعل الحجيج يقصدونه سنويًا بأعداد كبيرة، قبل مجيئ الإسلام وبعده، فقد كانت الكعبة مركزًا دينيًا لقريش والقبائل العربية، فكانت أصنامهم تحفّ الكعبة من جوانبها، فيقصدها النّاس لأداء طقوسهم الدينية وتقديم القرابين لآلهتهم.

*__المكانة التجارية والاقتصادية__: مكة هي عقدة تتجمع فيها القوافل التي ترد من العربية الجنوبية تبغي بلاد الشام، أو القادمة من بلاد الشام إلى العربية الجنوبية، فكان لا بدّ لهذه القوافل أن تستريح وتنفض عنها غبار السفر، وتتزّود بما تحتاجه من رزق، وهذا ما سمح لأهل مكّة أن يخبروا التجارة

---

[1] – حسين الحاج حسن :" حضارة العرب في عصر الجاهلية " ، المرجع السابق ص22.

[2] –أبو الفرج الأصفهاني."الأغاني"، ج1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص66.

[3] –حسين الحاج حسن:"حضارة العرب في عصر الجاهلية"، المرجع السابق، ص55.

ومراسها، فأصبحوا يسيّرون قوافل تنظم بصورة جماعية، ويعين لها رئيس وحراس وأدلاّء وأناس يعملون فيها، وكان يمهد للقوافل عادة باتفاقيات دبلوماسية مع رؤساء القبائل التي تمرّ فيها حتى لا تنهب أو يعتدى عليها[1]، وقد اشتهر أهل مكة بالتجارة حتى أصبح "تسعة أعشار رزقهم من التجارة، فمن لم يكن منهم تاجرًا لم يكن عندهم شيء"[2] وقد أشار القرآن الكريم لمكانة التجارة في حياة العرب، حيث ذكر رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، فالتجارة بالإضافة إلى مردودها المادي كانت كذلك مدرسة لتكوين أفراد يصعب على أي مدرسة عادية أخرى تخريج طلاب مثلهم، فقد مكنتهم من التعرف على الشعوب الأخرى فخبروا عاداتهم وطباعهم وأفادوا من علومهم وآدابهم ولغاتهم، كما تعرفّوا على الأماكن ومواقعها[3]

*المكانة الاجتماعية: سكان مكة من أشرف قبائل العرب، حيث عرفوا بخدمة الحجيج وسقايتهم وهذا ما جعل مكة سوقًا يقصدها الناس من كل مكان بغية الحج والتجارة والعلم، وقد عرف سكانها بشرف نسبهم ومكانتهم المرموقة، فقد كانت الحياة الاجتماعية في مكة قائمة على طبقتين اجتماعيين طبقة الأشراف والوجهاء الذين يحكمون القبيلة ويقومون على شؤونها وطبقة العبيد والخدم الذين يعملون على خدمة الأشراف والوجهاء، ولم يَكن للعرب في مكّة نظام يستبدّ بالحكم، بل كانت كل الأمور تقريبًا تعقد وتحل باجتماع قادة القبائل وأشرافها.

فالعرب اجتمعت لديهم مؤهلات قبلية، مكنتهم من النهوض بالعالم وإنقاذه من شرور الوثنية وضلال العبودية بجميع أصنافها. وجعلتهم الأمة التي تحمل الرسالة الإلهية إلى العالم، لتبني حضارة الإنسان والإنسانية.

---

[1]- ينظر حسين الحاج حسن: "حضارة العرب في الجاهلية"، المرجع السابق، ص55.

[2]- أبو الفرج الأصفهاني: "الأغاني" ص67.

[3]- ينظر جرجي زيدان: "تاريخ آداب اللغة العربية"، ج1، موفم للنشر، مصر، [دط]، 1993 ص47.

الفصل الأول

الأسس الحضارية في تفكير مالك بن نبي

أوّلا: تحديد المفهوم:

أ) مفهوم الدين:

1) لغة:

"**دين و الديّان**: من أسماء الله عزّ وجلّ، معناه الحكم القاضي، والديّان: القهّار.

قال ابن الأعرابي: دنْتُ وَأَنا أَدِينُ إذا أخذت دينًا.

والدِّينُ: الجزاء، والدِّين: الحساب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وقيل معناه مالك يوم الجزاء، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي.

والدِّينُ: الطاعة، وقد دِنته ودِنْتُ له أي أطعته.

والدين الإسلام وقد دنت به، والدين العادة والشأن.

وقوله دان نفسه أي أذلّها واستعبدها." [1]

فالتعريف اللّغوي للدين يختلف ويتنوّع لكن إذا ما أضيفت إليه كلمة "الإسلام" فيُصبح الدين الإسلامي الذي تدين به الأمة الإسلامية والذي بعث للناس جميعًا.

2) اصطلاحًا:

يعرف أهل الاصطلاح من أصحاب المعاجم وكتب التعريفات الدين على أنه: "عبارة عن ضوابط تنظّم العلاقة بين الخالق والمخلوق لأنه النظام الذي قرره الله لحياة البشرية بجملتها، والمنهج

[1] -أحمد بن منظور: "لسان العرب" ج13، مادة "سلم"، دار صادر، بيروت ط6، 1417/ 1997، ص 169.

الذي يسير عليه نشاط الحياة برمتها"[1] لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهو أعلم بحاله وأحواله في الدنيا والآخرة: "فالدين قوام الأمم وفيه سعادتها وفلاحها"[2]، فالإنسان منذ أن خلق بحث عن إله الكون لأن فطرته قادته إلى أن يوقن أن لهذا الكون إلهًا عظيمًا، فرأى أن الدين "إيمان بوجود قوى خارقة فوق طبيعة البشر العقلية، ولهذه القوى تأثير في مجرى حياة الإنسان"[3]، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك الإنسان في حيرته بل بعث أنبياءه ليدعوا الناس إلى عبادته سبحانه وتعالى، وقد جعل آخر رسالاته "الإسلام" الذي جمع بين الرسالات السابقة، فجاءت تعاليمه موافقة لصلاح حياة الفرد في الدنيا والآخرة، وهذا بشهادة الغرب أنفسهم، يقول برناردشو: "إني أكن كل تقدير لدين محمد لحيويته العجيبة، فهو الدين الوحيد الذي له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وهو صالح لكل العصور[4]" فالدين إذن علاقة بين الإنسان ومعبوده فهو فعل (عبادة) ناتجة عن إيمان بعد قناعة، فهو إيمان مطلق فيه تسليم لله عزّ وجلّ في كلّ الأمور.

* ويعرّف العلماء المسلمون الدين بتعاريف كثيرة منها:

- "الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول"[5]

- "دين الله المرضي، الذي لا لبس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له"[6]

---

[1]-محمد عبد الهادي أبوريدة: "الإسلام والحضارة"، ج3، تحقيق فيصل بدير عون الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2011، ص129.

[2]-محمد عبد المنعم خفاجي:"الإسلام والحضارة الإنسانية" ص211.

[3]-الأب جرجس داود داور:" أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي" المؤسسة الجامعية، للدراسات، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص157.

[4]-محمد عبد المنعم خفاجي:" الإسلام والحضارة الإنسانية" ص211.

[5]-محمد عثمان الخشت:" مدخل إلى فلسفة الدين"، دار قباء، مصر، ط1، 2001، ص190.

[6]-المرجع نفسه ص191.

- "والدين هو نظام عقلاني منطقي موزون، يتكوّن من مجموعة المعتقدات والمبادئ والقيم والطقوس السلوكية بعبادة الله سبحانه وتعالى، والخضوع لمشيئته وأوامره السماوية، وتعاليمه الربانية، والالتزام برسالته الإلهية التي نزّلها على النّاس عبر الرّسل والأنبياء الصالحين الذين هم بمثابة حلقة الوصل بين الله والنّاس المطلوب هدايتهم وتقويم سلوكهم"[1]

- "والدين هو الإتباع والطاعة للقيادة الربانية التي لها وحدها حقّ الطاعة والاتباع"[2]

وممثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يبلغه عن ربّه، ومما هو باق بعده من شريعته ومنهجه إلى يوم الدين.

فالإسلام هو الموقف الفكري والنفسي للإنسان، فهو موقف جميع المخلوقات. فالكون كله بسماواته وأرضه ومخلوقاته مسلّم لله، وهي ساجدة لله ومسبحة بجلاله وحمده بلسان واحد.

***) تعريف بعض الدراسيين الغربيين:**

*يعرف "دور كايم" الدين على أنّه: "منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة أي منفصلة محرمة، وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحدا يدعى جامعًا لكل الذين ينتمون إليه"[3]

* أما علماء النفس، مثل "فرويد" فيرى أن: "الدين ينبع من عجز الإنسان على مواجهة قوى الطبيعة في الخارج والقوى الغريزية داخل نفسه، وينشأ الدين في مرحلة مبكرة من التطور الإنساني عندما لم

[1]-إحسان محمد الحسن:" دراسات في علم الاجتماع الديني". مطبعة السلام، بغداد ط1، 1984، ص408.

[2]-سيد قطب:" التربية الإسلامية في ظلال القرآن" إعداد عبد الله ياسين، دار الشهاب الجزائر، (دط)، (دت)، ص09.

[3]-محمد عثمان الخشت: المرجع نفسه. ص15.

يكن الإنسان يستطيع أن يستخدم عقله بعد في التصدِّي لهذه القوى الخارجية والداخلية ولا يجد مفرًا من كبتها".[1]

*أما الأنثروبولوجي "باستيد" "R Bastid" فبالنسبة إليه فالدين هو: "نشاط رمزي يتمتع بمنطق خاص، يحمل بعدًا عاطفيًا إنّه نشاط رمزي لا ينبغي أن يقطع إلى شرائح (شعائر، عقائد، مؤسسات) بل أن يفهم بشكل عام وكأنه نشاط ثقافي تام يتكلم عدّة لغات"[2] وهكذا فقد اختلف مفهوم الدين عند العلماء الغربيين، حيث عرّفه كل عالم من الزاوية العلمية التي نظر إليها باختلاف تخصصاتهم، إلاّ أن آراءهم تجتمع على حاجة الإنسان إلى الدين في حياته.

ب) مفهوم الإسلام:

1) لغة:

"الإسلام :الاستسلام والانقياد، والإسلام من الشريعة إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم...وأما الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار قال: يقال فلان مسلم وفيه قولان: أحدهم هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله العبادة"[3]

فالمفهوم اللغوي للإسلام يُبرز استسلام العبد لخالقه بالطاعة والعبادة، لأن العبادة تستوجب الخضوع والاستسلام للمعبود، والإسلام في معناه اللغوي يظهر ذلك اللين والمرونة الذي يتصف بها هذا الدين السماوي الحنيف.

---

[1]-فرويد "مستقبل وهم"، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة، بيروت، ط4، 1998

[2]-جان بول وليم:" الأديان في علم الاجتماع"، ت نسمة بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001، ص54.

[3]-أحمد بني منظور:"لسان العرب"، ج12، مادة "سلم" ص293.

2) المفهوم الاصطلاحي للإسلام:

يعرف الإسلام اصطلاحًا حسب المعاني التي وردت بها كلمة "إسلام" في القرآن الكريم،" فالإسلام في الشرع على ضربين أحدهما دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[1] والثاني فوق الإيمان وهو يكون مع الاعتراف اعتقادا بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[3] وقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[4] أي اجعلني ممن استسلم لرضاك، ويجوز أن يكون معناه اجعلني سالما عن أسر الشيطان حيث قال تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[5] أي منقادون للحق مذعنون له[6] فالتعريف الاصطلاحي للإسلام في مفهومه العام لا يكاد يخرج عن معنى الانقياد والاستسلام لله عزّ وجلّ بالعبادة والطاعة وهذا ما يتطابق كذلك مع المفهوم اللغوي.

فلا نكاد نجد اختلافا كبيرًا بين تعريفات معظم الدراسيين للإسلام، لأن هذا الدين قد اكتسب تعريفه في الحقيقة من القرآن والسنّة، فهو دين سماوي ختمت به شرائع الأرض، وحوى في

---

[1]-سورة الحجرات الآية 14.

[2]-سورة البقرة الآية 131.

[3]-سورة آل عمران الآية 19.

[4]-سورة يوسف الآية 101.

[5]-سورة الروم الآية 53.

[6]-الراغب الأصفهاني : معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم" ، ضبط إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1997،1،ص137.

دستوره الإلهي أي القرآن الكريم، كل ما يهمّ البشرية في دنياها وآخرتها، مفصلاً أحيانًا أو ملمحًا حينًا أخرى، كما جاءت السنة النبوية لتفصل ما لمح له، فكان محمد صلى الله عليه وسلّم مجسدًا لتعاليم الإسلام في كل حركاته وسكناته، فلم يكن الإسلام مجرّد أقوال نظرية عابرة، وإنما تعاليمًا إلهية يتبعها النبي صلى الله عليه وسلّم ومن دان بدينه إلى يوم الدين، فالإسلام "هو الدين السماوي الذي اختاره الله لعباده وأمر رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالدعوة إليه، وهو خاتم الرسالات. كما أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء"[1] أما سعيد حوّى فيعرّف الإسلام بمضامينه فيرى أن "الإسلام عقيدة وعبادة ومناهج حياة ومؤيدات، مؤيداته الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحكم وعقوبات ومناهج حياة، منهاج سياسي ومنهاج اقتصادي ومنهاج اجتماعي. وأركان وعبادات، صلاة وزكاة وصوم وحج، وعقيدة: شهادتان: إيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر"[2] فسعيد حوّى عرّف الإسلام بجوانبه المتعددة من معتقدات وعبادات كما ركز على كونه منهاج حياة متكامل في ميادينها المختلفة، أما أبو حامد الغزالي فيعرف الإسلام بأنه" الاستسلام لله في أمره ونهيه وخيره على لسان الوحي، فمن أسلم وجهه وقلبه وجوارحه لله في كل أمر فهو المسلم"[3]، فالاستسلام لله هو التعريف المشترك للإسلام من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية، أما علي الطنطاوي فيقول في ذلك: "الإسلام يطلب من المسلمين أن يكونوا في الحضارة الخيرة سادة المتحضرين، وفي المال أغنى الأغنياء وفي العلم أعلم العلماء، وأن يعرف كل مسلم حق جسده عليه بالغذاء والرياضة، وحق نفسه بالتسلية والاستجمام والمتعة بغير الحرام. وحق أهله بالرعاية وحسن الصحبة، وحق ولده بالتربية والتوجيه والعطف، وحق المجتمع بالعمل على كل ما يصلحه، كما يعرف حقّ الله بالتوحيد والطاعة"[4] فعلي الطنطاوي بين أن الإسلام إنما هو دين يضمن الحقوق الفردية والجماعية، كما يركز

---

[1]-موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية:"الحضارة الإسلامية"، دار الفكر العربي، المجلد05، القاهرة، 2008،ص

[2]-سعيد حوى:" الإسلام" شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988.

[3]-أبو حامد الغزالي:"إحياء علوم الدين"، ص132.

[4]-علي الطنطاوي:"تعريف عام بدين الإسلام"، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ط6، 2001، ص30.

على حق الخالق عزّ وجل على عباده، وأسمى هذه الحقوق هو التوحيد والطاعة، اللذان يعدّ بهما الإنسان مسلمًا.

ج) مفهوم الحضارة:

1) لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "كلمة "حضارة" مشتقة في اللغة العربية من فعل "حَضَرَ" الذي هو نقيض غَابَ، ومنه المغِيبُ، والغَيْبَةُ، ومشتقات هذه المادة هي: حضر، يحضر، حضورا وحضارة.

بحضرة ماء أي عنده، وحضرت الصلاة، والحضرة خلاف البادية، والحاضر المقيم في المدن والقرى. والبادي المقيم في البادية والحَضْرَةُ والحَضَرُ والحَاضِرَةُ خلاف البادية، وهي المدن والقرى، وسميت بذلك لأنّ أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار."[1]

وإذا رجعنا إلى المعاجم الأجنبية، كالمعجم الانجليزي "إكسفورد" ألفينا أن "مصطلح الحضارة "civilization" مشتق من الجذر اللاتيني ciVltes : مدينة و civis: ساكن المدينة، أو civilis: مدنيّ، ويقصد به الاستقرار في الحواضر والمدن مع ما يستتبعه من اجتماع وتنظيم."[2]

فمصطلح الحضارة لا يكاد يختلف مفهومه بين المعاجم العربية والمعاجم الأجنبية، فهي تجمع على أنّ الحضارة والحضر إنما هم سكّان الحواضر والمدن، وهي خلاف البادية.

[1]-أحمد بن منظور:" لسان العرب"، ج3، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي. بيروت، 1408هـ/ 1988، ص08.

[2]-محمد بدوي:" قاموس إكسفورد المحيط"، إنجليزي عربي، دار أكديميا، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص198.

2) اصطلاحًا:

تعرف الحضارة في الاصطلاح على أنها: "طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة، وهكذا البداوة، ولكن البداوة أقدم والبدو أصل للحضر"[1] فالحضارة إذن هي مرحلة موالية للبداوة التي كانت أصل المجتمعات، فهي" نمط من الحياة المناقض للبداوة، المنشئ للمدن والأمصار، المتصف بفنون منتظمة من الملك والإدارة ومكاسب العيش، والبالغ درجة من الصنائع والعلوم، ومن وسائل الدعة والرفاه"[2]، فالبداوة والحضارة طورين طبيعيين من أطوار المجتمعات البشرية، والحضارة آخر هذه الأطوار، وهي غاية العمران كما يشير إلى ذلك ابن خلدون.

*والذي كان من الأوائل الذين عرّفوا الحضارة (ت808هـ) إذ عرّفها على أنّها: "تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه، من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنْزِل وأحواله"[3]

ويرى كذلك أن: "الحضارة هي أحوال زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرّفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتًا غير منحصر".[4]

وبهذا يركّز ابن خلدون في تعريفه للحضارة على الجانب المدني أو العمراني أو المادي.

* أما رفاعة الطهطاوي (ت1873م): يرى " أن للتمدن أصلين: الأوّل معنوي وهو التمدن الأخلاقي والثاني مادي وهو التقدم في المنافع العمومية." [5]

---

[1]-عبد الرحمن بن خلدون:"المقدمة"، تحقيق درويش الجويدي ،المكتبة العصرية ،بيروت ،ط1،1999،ص 63

[2]-حسين الحاج حسن:"حضارة العرب في عصر الجاهلية"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2006، ص14.

[3]-عبد الرحمن بن خلدون:"المقدمة"، ص115.

[4]- المرجع نفسه، ص117.

[5]- محمد حمزة إسماعيل:"المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2006، ص21.

* ويرى نصر عارف أن الحضارة: "جملة من الظواهر الاجتماعية ذات الطابع المادي والعلمي والفني والتقني الموجودة في المجتمع، والتي تمثل مرحلة راقية في التطوّر الإنساني"[1]، وبذلك يرى أن الحضارة تقاس بمدى الإنجازات التي تقام في مرحلة ما.

* أما حسين مؤنس فيرى أن الحضارة في مفهومها العام هي: " ثمرة لكل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودًا أو غير مقصود".[2]

* ويرى بن نبي أنّ الحضارة: " هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"[3]

وعلى هذا فكل ما يوفره المجتمع لأبنائه من وسائل تثقيفية وضمانات أمنية وحقوق ضرورية، تمثل جميعها أشكالاً مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع على تقديمها للأفراد، مما يضمن تحضرهم.

* أما عبد الحميد السامرائي فيرى أنّ الحضارة: "استمرار تاريخي انطلاقًا من توكيد إرادة الفعل والبناء، وفسح المجال أمام الفئات المثقفة لأداء مدركاتها عبر منطلقات تنموية، هدفها التعبير والتعمير والبناء الشامل المستند إلى العلم والمعرفة، بناء على فكر عالمي قوامه التأثر والتأثير الإيجابي والمساهمة الفاعلة في بناء الحضارة الإنسانية"[4]

---

[1]- محمد حمزة إسماعيل:"المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية"، المرجع السابق، ص22.

[2]- المرجع نفسه، ص22.

[3]- مالك بن نبي: " مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي مكتبة عمار، ط1، 1971، ص38.

[4]- عبد الحميد السامرائي:" تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين"، دار شموع الثقافة، ليبيا، ط1، 2002، ص09.

وبناء على ذلك فالحضارة بالنسبة إليه إرث إنساني، ساهمت وستساهم في إنجازه الشعوب الإنسانية.

* ويعرّف"وول ديورانت" الحضارة على أنّها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: المواد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث تنتهي الاضطرابات والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفكّ الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها"[1]

إنّ ديورانت يجعل بذلك الحضارة نسقًا مجتمعيًا مؤسسًا على مقومات رئيسة متشابكة ذات صلة بالاقتصاد والسياسة، والأخلاق والعلوم والفنون، تنحو نحو غاية أساسية هي مساعدة الإنسان على تنمية رصيده الثقافي وتقوية منتجة المعرفي، ويرى أن الحدّ الفاصل بين الحضارة واللاحضارة هو أن ينعم أفراد المجتمع بالطمأنينة والاستقرار، فتنزع إرادتهم الحرّة نحو البناء والخلق والإسهام في ترقية الحياة البشرية كلها.

* وقد حللّ: "ألبرت شفيتسر" الحضارة بجوهرها فهي" العناصر الجمالية والاتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا، كل هذا لا يكوّن جوهر الحضارة، وإنّما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم ...إن الحضارة هي التقدم الروحي للأفراد والجماهير على السواء"[2]

* وربط المؤرخ الألماني "سبنجلر" الحضارة بمفهومي الطبيعة والتاريخ.

[1]- وول ديورانت:"قصة الحضارة"، ت زكي نجيب محمود، تحقيق محي الدين صابر، بيروت، ط1، (دت)، ص87.

[2]- عطية فتحي الويشي:"الحضارة وإشكالية المصطلح"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ع16، 1990، ص376.

فعدّها "ظاهرة ملازمة للطبيعة وطورًا تاريخيًا يمرّ به المجتمع الإنساني لما يجتاز مرحلة التأسيس والنشوء، ويعقبه في الدورة الحضارية للدول طور التدهور والسقوط، وكأننا بهذا العالم يردد هنا ما سبق أن ذكره ابن خلدون في القرن 8 للهجرة"[1]

* أما المؤرخ الإنجليزي"أرنولد توينبي" الذي ركز عل أصل الحضارة ومنشئها، فقدم نظرية منفردة في هذا السياق هي " نظرية التحدي والاستجابة" فالحضارة في ظنه لاتنشأ إلاّ "كردّ فعل لعوامل خارجية أو داخلية أو لتحديات بشرية أو طبيعية، فالمجتمع البشري يواجه في حياته صعوبات عديدة يتحتم عليه مجابهتها فإذا عجز المجتمع عن ردّ خطرها فقد استقراره ،وأما إذا أفلح في مقاومة التحدي فإنه آنذاك يقوى ويستمر ويؤدي ذلك إلى نشوء ما يسمى حضارة." [2]

* أما الأنثروبولوجي الإنجليزي "إدوارد تايلور" (1832،1917)، فقد عرّف الحضارة بأنها: "درجة من التقدم الثقافي، تكون فيها الفنون والعلوم والحياة السياسية في درجة متقدمة." [3]

أي أن التحضر في نظر هذا العالم مرتبط بالتاريخ الثقافي، إذ يتحقق خصوصا عندما يبلغ تطور أشكال المعرفة والثقافة درجة راقية من التقدم والتبلور والنضج.

---

[1]- حسين موسى:"الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص72.

[2]- المرجع نفسه ص75.

[3]- بياربونت وميشال إيزار: "معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا "ترجمة مصباح الصمد، مؤسسة "مجد"، بيروت، لبنان، ط1، 1427/ 2006، ص117.

ثانيا: التوجه الفكري عند مالك بن نبي:

أ) المنطق (العقل).

أولى ابن نبي اهتمامً كبيرًا للجانب العقلي عند الإنسان، ويتجلى ذلك في تركيزه على عالم الأفكار الذي درسه دراسة مستفيضة، وخاصة في علاقته بالبناء الحضاري، ودرس الصراع الفكري وأساليبه في البلاد المستعمرة ودرس أنواع الأفكار في العالم العربي، ورأى أن:" مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته، ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها"[1]

وبذلك اتجه مالك بن نبي في تحديده لمشكلات العالم الإسلامي اتجاهًا مغايرًا للقائلين بأن مشكلات العالم الإسلامي ترجع إلى الجهل والفقر والاستعمار، فقد رأى أن الجهل والفقر والاستعمار ما هي إلاّ نتائج لأسباب سابقة، أصولها موجودة في أنفسنا.

ذلك انه نظر إلى هذا الثلاثي من حيث تأثيره على النشاط الاجتماعي واعتبرها ليست السبب في تعطل نشاطنا الاجتماعي:" فالرجل المتعلم عديم التأثير في المجتمع ولا فرق بين أثره وأثر الجاهل"[2]

"وأما الفقر فلا يلقى الاهتمام لعلاجه باستخدام الوسائل المتاحة استخدامًا مجديا." [3]

---

[1]- مالك بن نبي:" شروط النهضة"، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987، ص21.

[2]- مالك بن نبي:"وجهة العالم الإسلامي"، ت عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة القاهرة، ط1، 1959، ص81.

[3]- المرجع نفسه ص83.

وأما "الاستعمار فهو أثر سببه قابليتنا للاستعمار"[1] وبذلك ينفي أن تكون مشكلتنا عائدة إلى واحدة من هذه الأمور، فمشكلتنا ليست في نقص الأشياء ولا طبيعة الأشخاص وإنما مشكلتنا في فكرنا.

فالعالم الإسلامي في نظر بن نبي يفتقر إلى الأفكار الخلاّقة والأفكار المبدعة. وقد شدّد على محاربة الأفكار المميتة (المطبوعة) ،والأفكار الميتة (الموضوعة)،"لأن الأولى هي التي تجذب وتنادي الثانية إلى المجتمع وهذا الجذب يكون بطريقة الاختيار والنِقَايَةِ، وهذه النِقَايَة ستنتج عندنا نموذجها الأصلي (الفاسد) بلا مناعة، أي أنها ستنتج عندنا أفكارًا وأشخاصًا وأشياء فتاكة بالمجتمع. كالتطعيم الزراعي، عندما تَنْقُلُ إلى شجرة ضعيفة فرعًا من شجرة قوية مثلاً، فالفرع الجديد يثمر ثمرة شجرته الأصلية، وليس ثمر الشجرة التي ركب فيها"[2].

إذًا إن الأفكار الميتة والمميتة هي التي تؤدي إلى إزدواجية في سلوك المسلم لأن:"الأفكار الميتة هي أفكار تركة ثقافية لم تَصْفُ، والأفكار المميتة هي أفكار تقليد أعمى."[3]

وأي مشروع نُفكر فيه بأفكار غيرنا ونحاول إنجازه بوسائل غير وسائلنا هو مشروع معرّض للفشل لا محالة، فالمسلم يتخبط بين الأفكار الميتة التي يحملها لأنها فقدت أواصر علاقتها بمنبعها الأول. ويبعث الأفكار المميتة التي استوردها من الخارج، والتي أصبحت مقطوعة من أصولها في بلادها. فصارت أشد بأسًا وأشدّ تنكيلاً من الأفكار الميتة، ويرجع ذلك لعدم قدرة الإنسان المسلم على استثمار الأفكار الخلاقة والمبدعة من جهة، وعلى رصد الاستعمار للأفكار في البلاد المستعمرة من جهة أخرى، فيرى بن نبي أن وظيفة أجهزة الرصد هذه التقاط أي معلومة عن نشاط فكري لنقله إلى مركز الصراع الفكري لتدبير شأنه والتخلص منه. فالاستعمار لا يلجأ إلى تحطيم الأفكار البناءة

[1]- مالك بن نبي:"وجهة العالم الإسلامي"، ت عبد الصبور شاهين، المرجع السابق، ص87.

[2]- مالك بن نبي:"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، ص202-203

[3]- المرجع نفسه ص197.

في العالم الإسلامي، بل يلجأ إلى تحطيم الأشخاص الذين يدعون إليها، أو صرفهم عن الهدف الحقيقي، فالاستعمار يسعى أولاً أن يجعل الفرد خائنًا ضد المجتمع الذي يعيش فيه، فإن لم يستطيع فإنه يحاول أن يحقق خيانة المجتمع لهذا الفرد على يد بعض الأشرار،لأنّه على يقين أن بداية كل تغيير يَنبع من الأفكار، "وأن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسة لا يمكن على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولن يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يتشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج...فعلينا أن نكتسب خبرتنا، أي أن نحدد موضوعات تأملنا، وأن لا نسلّم بأن تُحدّد لنا بكلمة، علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي."[1]

وبذلك نعاود الصعود في الركب الحضاري من جديد.

لأنّ غنى المجتمع وقوّته لا يقاسان بالمنجزات ، بل بمقدار ما لديه من أفكار قادرة على الانجاز والإبداع والتغيير للأحسن.

لأن النزاع القائم هو نزاع أفكار وليس نزاع أسلحة، لأن عالم الأفكار هو الذي يدعم عالم الأشياء، وليس العكس.

ب) الأخلاق:

لقد ركّز بن نبي على عالم السلوك والأخلاق بقدر ما ركّز على عالم الأفكار، فقد أقام علاقة وثيقة بينهما إذ رأى أن"فعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بقدر ما يزيد فيها تأثير المبدأ الأخلاقي أو ينقص، فإن مواقفها إزاء المشكلات محددة بذلك المبدأ الذي يكون الشرط الأساسي لأفعالها. حيث

[1] – مالك بن نبي:"إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" مكتبة عمار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1970، ص48.

ينظم فيها علاقات الأشخاص تنظيمًا يناسب المصلحة العامّة"[1] فبن نبي لا يطرح مشكلة الأخلاق على المستوى الفردي فقط بل يحاول تشخيصها على مستوى المجتمع وعلى مستوى الحضارة، وبذلك يرى أنّ الإنسان المتحضر هو الذي يتنازل عن رغباته الذاتية لصالح الجماعة التي يعيش فيها، فالحضارة تبدأ متى تجاوز الجهد الإنساني حدود الحاجة الفردية، وارتقى إلى الحاجة الإنسانية، ولا يكون ذلك إلاّ بالأخلاق الدينية كما يسميها بن نبي، فهو يرى أنّ" الأخلاق اللادينية -بقدر ما لهذا التعبير من معنى- تقيم أعمال الإنسان على أساس المنافع الشخصية العاجلة، التي صارت أساس المجتمع المدني، على أنّ الأخلاق الدينية التوحيدية تحترم أيضا المنفعة الشخصية، ولكنها تمتاز برعاية منافع الآخرين، وهي بذلك ترفع الفرد إلى أن ينشد دائمًا ثواب الله قبل أن يهدف إلى فائدته"[2] فالمنظومة الأخلاقية الإسلامية تحافظ على النوع الإنساني وتضمن له حقوقه، وتحفظ له كرامته، لأنها منظومة أخلاقية إنسانية بالدرجة الأولى.

بل لقد جعل النبيّ صلى الله عليه وسلم حسن الخلق هو الدين، فقد جاء في الحديث الشريف أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله: ما الدين؟؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلّم:"حسن الخلق".

وهذا يعني أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم، لأن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقرّ في نفسه من معان وصفات، "وكلّ صفة تظهر في القلب ويظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلاّ على وفقها لا محالة"[3] ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه.

---

[1]- مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987، ص87.

[2]- المرجع السابق ص207.

[3]- أبو حامد الغزالي: "إحياء علوم الدين"، ج3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (دط)،(دت) ص46.

وقد جاءت نصوص القرآن الكريم تمدح المحمود من الأخلاق وتذمّ المذموم منها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿هَل جَزَاءُ الإحسَانِ إلاَّ الإحسَانُ﴾[1]، فهي قاعدة شرعية ثابتة عامة وهامة في التعامل. تدور عليها المعاملة فيما بين الله وخلقه، والواجب كذلك أن تكون الأساس لتعامل خلقه فيما بينهم، ولو التزم بها الناس لا رتاحوا وأراحوا، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2] هي قاعدة شرعية عامة في أقوال الناس، وفي كلام بعضهم مع بعض، لفظًا ومعنى، وأسلوبًا ومضمونًا، لو اتبعوها لعادت عليهم بركاتها راحة وسلامًا في الدنيا والآخرة، بل ويوصي الله سبحانه وتعالى بالأكثر من الحسنى وهو الأحسن في قوله تعالى: ﴿وَقُل لعبَادي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحسَنُ إنَّ الشَّيطَانَ يَنزَغُ بَينَهُم﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعفُوا أَقرَبُ للتَّقوَى ولاَ تَنسَوا الفَضْلَ بَينَكُمْ﴾[4] فهذه الآية الكريمة توجهنا إلى قاعدة العفو وإلى قاعدة حفظ الجميل والفضل الذي يكون بيننا، فالاعتراف بالجميل بيننا يكون سببًا في العفو عن بعضنا البعض عند الخطأ، وقد رغب فيه سبحانه وجعله طريق التقوى الذي يحرص عليه كل مؤمن، وهذا ما يجعلنا نقاوم ميولنا الجامح نحو استيفاء حقوقنا في مواقف الخلافات مع الآخرين ،التي نحرص عليها حتى ولو كانت تلك الحقوق المزعومة على

---

[1]- سورة الرحمن الآية 60.

[2]- سورة البقرة الآية 83.

[3]- سورة الإسراء الآية 53.

[4]- سورة البقرة الآية237.

حساب الخُلق والدين، وفي قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) ﴾[1] ،فهذه الآية تشتمل على قاعدة في الأخلاق تتعلق بالباعث الفردي والباعث الجماعي في أخلاق الإنسان وسلوكه، وتحدد بوضوح هذا الوعيد الشديد من رب العالمين لمن وقع في وبال النزعة الفردية في الأخلاق، فأصبح لا همّ له إلا نفسه ولا داعي عنده للتفكير في الآخرين، أما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] ففي الآية يقر الله منهج التوحيد في حياة الإنسان، وانه هو الصواب والعدل، وأن الشرك ظلم عظيم[3] ولا شك في أنه ينبني على حقيقة التوحيد صلاح عام في حياة الإنسان، كما أنه ينبني على الشرك فساد عام في حياة الإنسان، وفي سورة لقمان من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام الكثير، وفي السور الأخرى أكثر، ولا يتسع المجال لذكر كل هذه الأخلاق، لكن ينبغي أن نتيقن أن كتاب الله قد استوعب كل ما نحتاجه من بيان عن الأخلاق بأدق ما يكون، وما علينا إلا الورود عليه وفقهه والنهل منه، والتحلي بهذه الأخلاق الفاضلة التي هي سيمة المسلم الحقيقي، ومن الأحاديث الناطقة بالقواعد الأخلاقية الكثير كذلك نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ومن يستعفف، يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبرَّ يُصَبِّرْهُ الله.... ﴾[4] فهذا الحديث ينبه إلى قاعدة مهمة في سنة الله في تغيير أخلاق الناس وسلوكهم، وأنّ مردّ بداية ذلك إلى الإنسان ذاته إلى رغبته وإرادته، فسبيل إصلاح النفس هو ردعها عن كل ما

---

[1] - سورة المطففين الآيات 1،2،3.

[2] - سورة لقمان الآية 13.

[3] - ينظر عبد الله بن ضيف الله الرحيلّي: " الأخلاق"، وكالة مطبوعات البحث العلمي، السعودية، ط2009،3،ص51.

[4] - أخرجه البخاري في الزكاة 1469 من حديث أبي سعيد الخذري رضي الله عنه .

هو ضدّ المطلوب الشرعي، فالعفّة تحصل بالاستعفاف، والغنى يحصل بالاستغناء، والصبر بالتصبّر. وقوله صلى الله عليه وسلم{ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنّ الغنى غنى النّفس}[1] يتضمن هذا الحديث بيان المقياس السليم الذي ينبغي أن تستقرّ عليه النفوس، وترتّى عليه الضمائر تجاه النظر إلى مفهوم الغنى، لأنّ حبّ الغنى غزيرة فطرية في النفس البشرية، ومن ثمّ جاء هذا النص النبوي الكريم يستثمر هذه الغريزة البشرية لإصلاح النفس البشرية وتوجيهها الوجهة السليمة، ويقوّمها عن طريق إصلاح مفاهيمها، كتصحيح مفهوم الغنى بأنّه ليس كثرة أشياء الإنسان وإنما غنى نفسه ورقيها.

وقوله كذلك صلى الله عليه وسلم:{ليس الشديد بالصُّرعة، إنّما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب}[2]

فهذا الحديث يوضح أن الحكم على الأمور ليس بظواهرها وإنما بحقائقها فلا يكون الإعجاب بالرجُل الصُّرعة، إنّما بالإنسان الذي يملك نفسه عند الغضب، وفي الإحسان قال صلى الله عليه وسلّم {إنّ الله كتب الإحسان في كلّ شيء.} [3] فهي قاعدة تربوية قويمة، وقاعدة أساسية لا يغني عنها سواها، ومن ثم جاءت هكذا عامة لتدخل في كل عمل أو تصرف أخلاقي يقوم به الإنسان.

[1]- أخرجه البخاري في الرقاق برقم 6446 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2]- أخرجه البخاري في الأدب برقم 6114 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه، الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة برقم 1955 عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه.

فالرسول صلى الله عليه وسلّم حثّ على مكارم الأخلاق وحذّر من الأخلاق السيئة فقال صلى الله عليه وسلّم:{إنّ من خياركم، أحاسنكم أخلاقا}[1] فالأخلاق هي عنوان خيرية الإنسان وأفضليته[2]، لذلك كانت من الركائز التي بني عليها الإسلام، وحثّ عليها المصلحون في كل العصور.

ج) الفاعلية:

إنّ ما يفصل المجتمعات حسب بن نبي هو مدى فعاليتها حيث يوجد تشابه واختلاف بين المجتمعات، والاختلاف اللافت للنظر يكمن فيما يطبع نشاط أي مجتمع من فعالية تتفاوت درجتها من مجتمع إلى آخر، هذا العنصر الذي رأى بن نبي أنه أصبح أساسًا في فلسفة العصر، فالفعالية ليست شيئًا فطريًا مركبًا في فطرة الإنسان، وإنّما هي نتاج لتركيب ثقافي معيّن متحرّك في إطار التاريخ، ومرتبط بالوضعية التي يقفها المجتمع من دورة الحضارة، فبن نبي يرى أنّ العامل النفسي هو الذي يناط به توجيه النشاط والطاقات الاجتماعية، وهذه الأخيرة يبحث عن مفهومها في حقيقة الواقع الاجتماعي، وإذا حللت إلى عناصرها الأولية فإنها تنحصر في ثلاثة هي اليد والقلب والعقل: "لأن كل الطاقات الاجتماعية تنطلق منها، والعملية الاجتماعية نفسها لا تخرج عن هذه العناصر بكل طاقة اجتماعية تصدر حتمًا من دوافع القلب ومن مبررات وتوجهات العقل، ومن حركات الأعضاء، فكل نشاط اجتماعي مركب من هذه العناصر، والفاعلية تكون أقوى في الوسط الذي ينتج أقوى الدوافع وأقوم التوجهات وأنشط الحركات"[3] وهذا العامل النفسي هو ما يسميه التوتر: "والفعالية نتاج حالة خاصة من التوتر، توتر في الضمير، أي توتر أخلاقي واقتصادي وعلمي ونفسي ...وهو حالة

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم برقم 3559 من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[2] – ينظر عبد الله بن ضيف الله الرحيلي: "الأخلاق الفاضلة" ص56.

[3] – مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، ص150.

نفسية اجتماعية دل التاريخ على أنها تنشأ في ظروف معينة، تكون فيها المبررات التي تكوّن الدوافع الإنسانية التي تدفع النشاط إلى أعلى قمّة"[1]

ويشترط بن نبي لضمان الفعالية، أن يكون اختيار النموذج الذي يحدد المنهج، وهذا بدوره يجعل عملية البناء الحضاري عملية قصدية، تتحقق في إطار زمني منضبط، فكل حضارة يكون لها نموذجها ومثلها الذي تجعله نصب عينيها، سواء كان هذا النموذج مستمدًا من الحاضر أو الماضي أو كليهما أو شيء آخر، ولكن يجب أن يتوفّر النموذج المحتذى، واختيار النموذج يحدد المنهج إلى حدّ ما: "فهناك ارتباط بين النموذج والمنهج وفي إطاره تتحقق صورة التنظيم والديناميكا أي الفعالية"[2]

فالفعالية في جوهرها منهج فكري بمعنى أنها مسألة أفكار ومناهج وليست مسألة وسائل، كما اعتقد العالم الإسلامي حين اتجه إلى البحث عن الوسائل المادية ليضمن التحضر، بينما الأمر يتعلّق بنمط الثقافة وما تحدده من مناهج، وما توفره من أفكار وجوّ فكري، يفعّل الأداء الاجتماعي للفرد والمجتمع، ولهذا فبن نبي حيث يتحدث عن النموذج والمنهج، فهو في الحقيقة يتحدث عن ترجمتهما إلى صورة مشروع ثقافي، يكتّل الجهود ويشكلّ دستور الحياة، من خلال تلاحم الفكر والأخلاق والعمل.

أمّا غياب الفعالية في المجتمع الإسلامي يعزوه بن نبي إلى أن العالم الإسلامي لم يختر حتى الآن نموذجه، الذي يعطيه تحديدًا لمنهجه وبقيت النهضة تنمو تحت تأثير نموذج غامض لم تختره، بل فرض عليها من الآخرين، وبذلك حدث انفصال الأفكار عن نموذجها في عالمها الثقافي الأصل فانعدمت

[1] - مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، المرجع السابق، ص203

[2] - المرجع نفسه، ص205.

فعاليتها، "وأصبحت هذه الأفكار حينئذ الجراثيم التي تنقل الأمراض الاجتماعية، سواء الموروثة عن عهود التخلف أو الأفكار القادمة من عالم ثقافي آخر انفصلت عنه"[1]

وهذه الأفكار يستحيل فعاليتها لأنها مفصولة عن أواصرها وجذورها الصحيحة، وذلك لغياب النموذج أو غموضه وبالتالي يترتب عن ذلك غموض في المنهج: "فالمجتمع الذي لم يَصِلْ بعد عالم الأشياء بعالم الأفكار...فإن هذا التخلّف الذي يَسِمُ طوره له دويّه وتأثيره على كل الحياة في الأشكال المختلفة للافعالية، التي قد تكوّن من الوجهة الاجتماعية أهمّ مشكلات العالم الإسلامي"[2].

ويضرب مثالاً للافعالية الاجتماعية بالواعظ في المسجد يوم الجمعة فإنّه يدعو عمليًا إلى الفضائل التي جاء بها الإسلام في القرون الأولى، ولكن إذا راقبنا هذا الواعظ عندما يغادر المنبر، فإن حياته العائلية مطابقة في معظم الأحيان للمثال الذي كان ينتقده، فوعظه ليس عملاً اجتماعيًا فاعلاً ولكنّه مجرّد واقعة لفظية. [3] وبذلك نقف أمام مظهر من مظاهر اللافعالية في المجتمع الإسلامي ونجد أنفسنا مجبورين على ربطه بعالم الأفكار، لأنه في هذا العالم تكمن أسرار الفعالية ومنطلقها.

---

[1]- مالك بن نبي: "الظاهرة القرآنية"، المرجع السابق، ص200.

[2]- عمر عبيد حسنة"الوراثة الحضارية". المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 2003. ص58.

[3]- ينظر مالك بن نبي:" الظاهرة القرآنية" ص64.

د) الشهادة:

يرى بن نبي أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وأوكل له دور الشهادة فهو المشاهد أو المشاهد الأمين لأعمال الآخرين، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

فالواقع أنّ "الشاهد في أساسه هو الحاضر في عالم الآخرين، والصفة الأولى المكتسبة لإثبات قيمة أي شهادة هي: حضور الشاهد، وعندئذ إذا كان متعينًا على المسلم أن يقوم بالدور الملقى على عاتقه فهو مجبر على الحياة في اتصال وثيق بأكبر عدد من الذوات البشرية ومشاكلها كذلك، ومن ثم يتعين على حضوره أن يعانق أقصى حدّ ممكن في المكان.

لكي تعانق شهادته أقصى كمّ ممكن من الوقائع، وعلاوة على ذلك فإن المسلم في هذه الحالة ليس صاحب دور سلبي محض، إذ أن حضوره نفسه يؤثر على الأشياء وعلى أعمال الآخرين"[2]، فبن نبي بذلك يرى أن الإنسان الموكل له الشهادة هو الإنسان الحضاري، الذي يتعامل مع الزمن والمكان تعاملاً إيجابيًا، فيستثمرهما لمنفعته ومنفعة كل المخلوقات التي تقاسمه هذا العالم، فالإنسان المسلم شاهد في الكون، وحضوره قادر على تغيير الأحداث، بما يضمن تجنب الوقوع في المحظور، لأنّ رسالة الإنسان المسلم ليس ملاحظة الوقائع بل تبديل مجرى الأحداث إلى اتجاه الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

---

[1] - سورة البقرة الآية 143.

[2] - مالك بن نبي:"فكرة كمنويلث إسلامي"، ترجمة الطبيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط9، 1430هـ/2009م، ص72.

الفصل الثاني

عوامل البناء الحضاري

عند مالك بن نبي

أولاً: عناصر البناء الحضاري:

يرى مالك بن نبي أن مشكلة الحضارة مرتبطة بثلاث مشكلات أولية، مشكلة الإنسان ومشكلة الوقت ومشكلة التراب، فلكي نقيم حضارة لا يستدعي ذلك بأن نكدس المنتجات وإنما بأن نحل المشكلات الثلاثة من أساسها وأوّل مشكلة هي مشكلة:

أ) الإنسان الحضاري:

يرى بن نبي أن الإنسان الحضاري القادر على إنشاء حضارة هو الإنسان الطبيعي أو الفطري، الذي خلقه الله سبحانه وتعالى وأهله لهذه المهمة العظيمة، فالقرآن الكريم جعل الإنسان محور العمارة الكونية في هذه الحياة، وأوّل آية أنزلت من القرآن الكريم عرّفت الإنسان بذاته، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1]

فالقرآن أشار لأصل الإنسان وخصائصه ومدى أهميته في هذا الكون الذي يعيش فيه، وذلك لأنه أهم العناصر الحضارية، وهو المحور الذي تدور حوله معظم الموجودات التي تعيش حوله وتقاسمه هذا الكون الفسيح، ولأنه هو الذي سيكلف بتسييرها وتسخيرها نحو هدف جدّ عظيم وهو بناء حضارة الإنسانية، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الإنسان الحضاري بصفات منها:

*الإنسان المكرّم: فهو مكرّم من عند الله وقد أشار القرآن إلى ذلك في عدّة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]

[1] سورة العلق الآية 1،2.

[2] سورة الإسراء الآية 70.

وقوله أيضا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]

فقد أشار القرآن الكريم في هذه الآية للمهمة العظيمة التي كرّم من أجلها الإنسان على سائر مخلوقات الأرض، بل وقد سخّرت هذه المخلوقات لخدمته ومساعدته على أداء مهمته في إعمار الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2]

فالإنسان الحضاري هو الذي يعي قدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلّم في قوله: (ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدام، قيل يا رسول الله، ولا الملائكة، قال: ولا الملائكة، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر)[3]فإمكانية الانتقال من حالة الهوان إلى حالة العزّ هي بيد الفرد، وهو المسؤول على ما يقع له من غبن وذل واستضعاف يقول تعالى:: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[4]

فالتكريم الرباني للإنسان شامل للجميع مهما كان الانتماء الجغرافي أو العقائدي، فهو تكريم يفتح الباب على آمال كبيرة تتعلق بوضع هذا الإنسان ومكانته عند الله وفي التاريخ.

---

[1] سورة البقرة الآية 30.

[2] سورة الأحزاب الآية 70.

[3] ابن كثير:" تفسير القرآن العظيم"، ج3، دار الفكر، بيروت، ط1، 1969، ص52.

[4] سورة النساء الآية 97- 98- 99.

فالإنسان مكرّم بالفطرة مهما كان جنسه أو لسانه أو لونه، وهذه البصيرة الدينية في إدراك الحقائق، جعلت نظرة مالك بن نبي إلى الإنسان خالية من كل شعور بالنقص أو تعال، هذا بخلاف الدراسات الوضعية التي لا تؤمن إلاّ بالبصيرة العلمية، حيث تصنف الإنسان، إما على أساس طبقي أو عنصري، فتجرده من طبيعة التكريم التي فطر عليها[1]

فالإنسان في نظر مالك بن نبي سيد بالفطرة، وأنّ الغرائز هي التي تجعل منه يجنح في تصرفاته عن جادة الصواب، أي عند ما يكون عبدًا لشهواته،"حيث تضيق كل أبعاده الزمانية ويصبح إنسانًا لا يفكّر إلا في وضعه الحالي، وليس للزمان عنده أدنى اعتبار، ولا للوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه أدنى قيمة، رغم ذلك فإنّ مسحة الجمال والعزّة باقية عليه، لأنها موضوعة في طينتة منذ أن خلق رغم ما لحق به من ذلّ، سواء كان هو المتسبب فيه بنفسه أو غيره"[2] ومن هنا جاءت نظرية مالك بن نبي في الحضارة عبارة عن تعبير فني لفلسفة الإسلام للإنسان، وفي هذا المعنى يقول:" وفي رحلات العرب إبّان العصر الذهبي مثل رحلات ابن بطوطة، والمسعودي، وأبي الفدا، فإننا لا نجد فيما يكتبون عن الشعوب والقبائل البدائية المكتشفة أية ترثرة تشوّه إنسانية هذه الشعوب، ولا نرى في اتصالهم بها أي أثر للكبرياء في علاقات الإنسان المتحضر العربي إزّاء الإنسان البدائي"[3].

فمن الطبيعة التكريمية للإنسان يستقي مالك بن نبي منهجه التربوي الذي يهدف إلى بناء حضارة إنسانية، هذه الأهداف التي لا تكمن إلا في ذات الإنسان، ووجهته في ذلك ردّ الاعتبار لهذا الإنسان الذي حطت من كرامته فلسفات وضعية خاطئة، أفقدته ثقته بذاته، وبالمجتمع من حوله.

***الإنسان المكلّف**: لما شاء الله اختيار الإنسان لعمارة الأرض، كلفه بتأليف أسرة إنسانية، تقف تحت سلطان العبودية لله عزّ وجلّ، وتقيم حياتها على منهج الشريعة الربانية، لتكوّن بذلك مظهرًا لعدالة الله تعالى في الأرض، وجهّزه بملكات نادرة وميّزه بصفات سامية لم توجد في غيره، فأورثه العقل والتفكير، وغرس في كيانه شعورًا بحبّ الذات والإحساس بالأنانية وحبّ التملّك، وأمده بالطاقة

[1] ينظر جون ديوي:"المدرسة والمجتمع"، ترجمة أحمد حسن عبد الرحيم، دار الحياة، بيروت، ط1، [دت].
[2] مالك بن نبي:"ميلاد مجتمع"، ص62.
[3] المرجع نفسه ص22.

والقوة، فهذه الصفات وهبه الله إياها ليستعين بها على أداء الرسالة، ويُسهّلَ سبيله في تحقيق خلافته على الأرض، فينشئ فوقها الحضارة الإنسانية التي حمّله الله مسؤولية إنشائها قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[1]

فالإنسان يتمتع بصفات جهزه الله بها فاستحق بموجبها الرفعة والتكريم، إن هو استعملها على وجهها الصحيح، كما اعتنى القرآن بتربية هذا المخلوق حتى يتعرّف على هويته ثم يقيم سلوكه على أساس منسجم ومتين مع هذه المعرفة، فلا يذل ولا يهون لغير من بيده حياته وموته ونفعه وضره، فلا يرتدي كسوة التّكبّر والطغيان وهو يعلم أنّه ليس إلاّ عبدًا مملوكًا لله، ولا يذلّ ويهون لمخلوق وهو يعلم أن أمره كلّه بيد الله وحده.

"فالدين في مجمله وتفصيله ليس إلاّ وصفة علاجية وافية أو شافية من كلا هذين الوباءين اللذين لم يوجد أشدّ منهما فتكًا بجسم المجتمع الإنساني أو الحضارة الإنسانية"[2]

فالإنسان ما هو إلاّ جهاز وأداة من أدوات العمل وإنجازه، والمعرفة التي يوجهه القرآن إليها ما هي إلاّ المرحلة الأولى نحو إنشاء حضارة إنسانية، ولا يمكن أن تتحقق إلا بسبيل واحد هو سبيل اليقين بوجود الخالق عزّ وجلّ، وانه الواحد المتصف بصفات الكمال، فيترتب على هذا اليقين تصوّر لعلاقة الإنسان بهذا الإله الخالق، وهي علاقة العبودية المطلقة، والخضوع الحتمي من المملوك للمالك.

***الإنسان الحرّ**: بالعقل يميّز الإنسان بين الخطأ والصواب، وبين الخير والشرّ، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تخاطب الإنسان العاقل وتبين أن استحقاقه للثواب والعقاب هو بإرادته، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3].

---

[1] سورة هود الآية 61.

[2] عباس محمود العقار:"الإنسان في القرآن الكريم" مكتبة رحاب، الجزائر، [دط]، [دت]، ص48.

[3] سورة الزلزلة الآية 07 -08

وقال أيضًا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[1]

فهذه الآيات تبيّن الذات الإنسانية السوية التي تنزع نحو الخير وتبتعد عن الشرّ، فالإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها و" هو يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه، فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ودوافع الحياة الجسدية، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسرّ الوجود الدائم وعلمه عند الله"[2]

فرجل الحضارة الإنسانية في القرآن هو الرجل الذي يعي حجم المهمة التي خلق من أجلها، فكرّمه الله لذلك على سائر المخلوقات، ووهبه العقل والتفكير الذي هما مناط التكليف، فوجب عليه أن يبذل كل جهد ممكن في سبيل خدمة الإنسانية المطلقة من أجل صهرها في بوثقة من التآلف والمحبّة والأخوّة الإنسانية.

ب)**الزمن (الوقت)**: عبّر البيان الإلهي عن نهاية سعي الإنسان اللاهث في سبيل التعلّق بالحياة والمحافظة عليها بعبارة موجزة جامعة في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[3]، فإنّها حكمة أن يطبع الله الإنسان على هذا التعلّق بالحياة الدنيوية، ذلك لأنها أقدس رأس مال يملكه على الإطلاق، إذ هي الوسيلة الزمنية التي تنهض عليها جميع الأسباب والشروط التي لابدّ منها في عمارة الأرض ،واستغلال ذخرها ومكوناتها المختلفة من أجل إنشاء المجتمع الإنساني السليم فوقها، فكانت الحكمة الإلهية أن يطبع الإنسان على حبّ البقاء، فيسخّر حياته لما هو بصدده من الواجبات والأعمال، ويتّخذها أداة لإنجاز المهمة التي أنيطت به، فالزمن في

[1] سورة النازعات الآية 40-41.

[2] عباس محمود العقار:"الإنسان في القرآن الكريم" ص33.

[3] سورة ق الآية 19.

تعريف القرآن هو ذلك"العمر الذي يتمتع به الإنسان"[1]. وقد أشار إلى ذلك في عدّة آيات منها قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ﴾[2]

وقوله أيضًا : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[3]

وقال أيضًا: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4]

فهذه الآيات وغيرها تبين أن الحياة الدنيا هي معبر للحياة الآخرة، وأن الإنسان إنما يأخذ منها حصيلة كسبه وعمله. لينال عليه الجزاء الأوفى إن خيرا فخير وإن شرًا فشرّ.

فالقرآن بين أن هذه الحياة الدنيا ليست هي الوحيدة التي يعيشها الإنسان، بل هناك حياة أخرى، وأن الحياة الدنيا إنما هي بداية لنهاية، لكنّ القرآن لم يقتصر على الحديث عن الحياة الدنيا من هذه الناحية فقط، فلو كان هذا لما حرّك الإنسان ساكنًا من أجل عمارة الأرض وإقامة المجتمع الإنساني، وشغله عن ذلك انتظار الموت ليرحل إلى تلك الحياة الآخرة وترك هذه الحياة التافهة، ولكن القرآن بين الجانب الآخر من حقيقتها، ودعانا إلى فهم الحياة فهمًا متكاملاً جامعًا بين تصوّر كلا جانبيها، فدفع الإنسان إلى سبيل رعايتها والعناية بها، وشرع له من

---

[1] سعيد رمضان البوطي:"منهج الحضارة الإنسانية في القرآن" دار الفكر، سوريا، دمشق، ط3، 1998.

[2] سورة الحديد الآية 20.

[3] سورة الكهف الآية45.

[4] سورة العنكبوت الآية 64.

الأحكام ما يضمن حمايتها من أي عدوان، وينهض بالإنسان إلى أن يعيش فيها في نظام فيقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

وقال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[2]

وقوله أيضا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]

فهذه الآيات وضعت الحياة الدنيا في إطار من القداسة والرعاية والأهمية، فهذه الحياة قصيرة وهي العاجلة حقًّا، لكنها هي أساس الحياة الآخرة[5]

فمالك بن نبي يرى أنّ الإنسان يعيش وقته إذا استطاع أن يسهم من خلاله في بناء المجتمع الإنساني، ومتى استسلم الإنسان لغرائزه ولهث نحو مصالحه الشخصية فقط، خرج من الزمن

---

[1] سورة النحل الآية 97.

[2] سورة المائدة الآية 32.

[3] سورة البقرة الآية 195.

[4] سورة القصص الآية 77.

[5] ينظر سعيد رمضان البوطي"منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ص87.

وأصبح وقته ضائعًا دون فائدة، وبالتالي لا يمكن للإنسان الذي يعيش من أجل نفسه أن يبني حضارة، فالوقت هو"التجسيد العملي للعقيدة، أو هو التحلي والاستجابة للقيم والأفكار في سائر الأنشطة الإنسانية وهو الذاكرة الجمعية المتراكمة للأمة وسجلّ حركاتها ومرآة مستقبلها، أو هو المختبر الحقيقي للمبادئ والأفكار ومدى قابليتها للتطبيق ونصيبها منه"[1] لذلك رأى بن نبي أن على الشعوب استغلال الوقت وعدم التفريط فيه لنزوات شخصية بل وتكريسه لبناء صرح الحضارة الإنسانية، التي لا تقوم إلا بتضافر جهود أبنائها.

ج) **التراب**: يعني هذا الكون الفسيح الذي يعيش فيه الإنسان وهو "جملة مخلوقات ومظاهر سخرت لخدمة الإنسان وتحقيق مصالحه ورعاية أسباب حياته ورفاهيته، وهو صنع بديع يتجلى فيه الإتقان والجمال ويدلّ على القدرة التي أبدعته"[2]وبيان القرآن الكريم لتكوين هذا العالم لم يرد على صورة القصة ،بل على سبيل قضايا حول وقائع وحوادث محددة مع ذكر أحوال ووقائع زمانية والإشارة إلى الفعل الإلهي، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3]

---

[1] عمر عبيد حسنة:"الوراثة الحضارية" ص85.

[2] المرجع نفسه ص 89.

[3] سورة فصلت الآيات9-10-11-12.

فالعالم بناء متين، والقرآن نبه إلى جوانب في هذا العالم لكي يجعلها الإنسان المفكّر موضع دراسته، فجعل القرآن الكريم العقل البشري أمام مهمة استقراء على مستوى الكون، قال تعالى:

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]

وقال أيضًا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) ﴾[2]

فهذه النماذج الكونية سيقت في هذه الآيات مساق الاستدلال بها على وجود المكوّن جلّ جلاله، فتثبيت اليقين بوجود الله عزّ وجل ووحدانيته في عقل الإنسان وتفكيره هو الخطوة الضرورية الأولى على طريق السعي لتكوين الأسرة الإنسانية السليمة، إذ من الطبيعي أن الإنسان لن يلقي أذنًا صاغية إلى التعليمات التي يتلقاها عن هويته وحقيقة العمر الذي يتمتع به وكيفية استفادته من المكوّنات التي حوله على الوجه الصحيح، إلاّ إذا وقر في نفسه وعقله أن الذي يلقي إليه هذه التعليمات إنّما هو خالق هذا الكون، لذلك فتح القرآن أمام الإنسان طريق الاستدلال لمعرفة صانع الأشياء سبحانه، فيسّر له طريق العلم الطبيعي ليعرف طبائع الأشياء وقوانينها ثم يستعملها في مصالح حياته، ثم إنّ القرآن الكريم قد بين للإنسان أيضًا أن هذا الكون بعظمته وتعقيداته الكونية، إنّما هو مسخّر لخدمته وتدبير معيشته، وتحقيق شروط رفاهيته وأمنه، وهو يلفت نظر الإنسان إلى أنّ أكثر هذه المكونات خاضع للتطوير والتحوير حسب ما يقتضيه السير مع مصالحه، إذا ما اتجه بفكره

[1] سورة يونس الآية 101

[2] سورة الأنبياء الآيات 30-31-32-33.

وقدراته إلى ذلك، فما عليه إذن إلاّ أن يسعى للتأمل فيها والاستفادة منها وإدخال ما قد يراه مناسبًا من أسباب التطوير، قال تعالى: ﴿ هُوَ الذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) ﴾[2]

وقال أيضا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73) ﴾[3]

وقال: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15) ﴾[4]

---

[1] سورة النحل الآيات 10-11-12-13-14.

[2] سورة الإسراء الآية 12.

[3] سورة يس الآيات 71-72-73.

[4] سورة الملك الآية 15.

وقال: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10) ﴾ [1]

فكل العناصر الكونية قد أخضعها الله للإنسان، وكل الأعمال والوظائف التي تقوم بها هي محور للمصلحة الإنسانية بشكل مباشر أو غير مباشر، فالتراب إذن هو ذلك الحيز الكوني الذي سخره الله للإنسان وذلّله له كي يساعده في أداء الأمانة الملقاة على عاتقة، أمانة عمارة الأرض بالخير والسلم والسلام ورغد الإنسانية.

[1] سورة الأعراف الآية 10.

ثانيا: العوالم عند بن نبي:

يرى مالك بن نبي أن كل حضارة تقوم على ثلاثة عوالم: عالم الأفكار وعالم الأشياء وعالم الأشخاص، وهناك ارتباط بين هذه الثلاثة، على شكل شبكة علاقات اجتماعية، بحيث لا ينشأ مجتمع بدونها.

أ) عالم الأفكار:

أو عالم الرؤى فهو يمثل فلسفة الحياة أو الشاكلة الثقافية التي تقبع وراءها السلوكات الإنسانية قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا (84)﴾[1]

والتصور العام للكون والإنسان والحياة، وما يبلور من قيم تضبط مسيرة الحياة وتشكل المعايير والموازين التي تمكّن من النظر والتقويم، والقبول والرفض.

فعالم الأفكار كان وما يزال هو المحور الأساس، الذي يتمحور حوله الإنتاج الفكري والثقافي. ويشكل في الوقت نفسه الدافع السلوكي، والمحرّض الحضاري، وهو الذي يحيي روح الأمة ويشكل عقلها ونسيجها الاجتماعي، ويحقق وقايتها الحضارية والثقافية، لذلك فهو المسؤول عن نهوض الأمة ورقيها الحضاري، كما أنه المسؤول إلى حدّ بعيد عن الانتهاء بها إلى الركود والنكوص الحضاري.[2]

فبمقدار ما يكون عالم الأفكار سليمًا نقيًا ملائمًا للفطرة الإنسانية، ومستجيبًا لحاجاتها الأصلية. وبمقدار ما تكون الأفكار سليمة وقادرة على تقديم الإجابة الشافية والمقنعة على الأسئلة الكبرى في الحياة، وعن المصير والأهداف المحركة للإنسان، والقادرة على تحقيق إنسانية الإنسان، بمقدار ما تكون مؤهلة للنهوض الحضاري، وإعادة الفاعلية في فترات السقوط الحضاري للإقلاع من جديد[3]

---

[1] سورة الإسراء الآية 84.

[2] ينظر عمر عبيد حسنة:"الوراثة الحضارية" ص80.

[3] المرجع نفسه ص 93.

فمالك بن نبي يعلن منذ الوهلة الأولى أنّ "مشكلتنا ليست في نقص الأشياء ولا طبيعة الأشخاص وإنما مشكلتنا في فكرنا"[1]، ويحذر من طغيان النظرة المادية على كل جوانب الحياة، ويشير إلى الخطر الذي ينتج إن هي وصلت إلى عالم الأفكار، فيقول: "لقد طغت الفكرة المادية (الأشياء) على هذه العوالم على الصعيد النفسي والأخلاقي، فانزلق نحو تقييم كل الأمور بمقياس الأشياء"[2] .

وهذا ما ولّد عدّة مشاكل، وقد أشار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الخلل الذي قد يصيب التوافق بين هذه العوالم في قوله: (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت)[3] ومن المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي على الصعيد الفكري، أنّه أصبح "يقيّم الكتاب بعدد صفحاته"[4] دون النظر إلى المحتوى الفكري والثقافي الذي يتناوله، أما من الجانب الاقتصادي "فتحلّ مشكلات التنمية بالاستثمار الأجنبي وزيادة الضرائب، مما يشل النشاط الفردي، ويشجّع المحسوبية الضرائبية"[5] أما من الجانب الأخلاقي "فتتجسد الأفكار في شخص، فتنعكس أخطاؤه على الفكرة ومن ثم على المجتمع"[6] أما من الجانب السياسي "فيتسبب رجل في الإفلاس الفادح في سياسات عديدة، فنسميه برجل النحس، ثم ننتظر غيره لعلّه يتغيّر عن الأول"[7]، ولا يستثنى من ذلك الجانب الاجتماعي "فتصاغ الحلول بعيدًا عن خصائصها النوعية، وإنما بصياغات كمّية، استعبدت فيها سلطة المجتمع وظهر التبذير في الموارد والثروات"[8] فهذه المشاكل

---

[1] مالك بن نبي " شروط النهضة" ص 37.

[2] المرجع نفسه، ص37.

[3] سنن أبي داود، ج4، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، [دط]، [دت] ص543.

[4] مالك بن نبي:" مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"ص98.

[5] المرجع نفسه ص101.

[6] المرجع نفسه ص102.

[7] المرجع نفسه ص102.

[8] المرجع نفسه ص103.

وغيرها نتجت عن خلل رؤية المجتمع للعوالم الثلاث، فجعلت منه مجتمعنا فقيرًا للأفكار المبدعة، في الوقت الذي تمثل فيه الأفكار الثروة الوحيدة التي يعوّل عليها. فأصبح مجتمعنا أعزل مفاهيميًا وإديولوجيًا في الوقت الذي يتعين فيه أن تسوى كل النزاعات في العالم من هنا فصاعدًا لا بالأسلحة ولكن بالأفكار، "فعالم الأفكار هو الذي يدعم عالم الأشياء. العالم الذي لا يقف على قدميه بدون العالم الأول، ولا يمكن أن يقف على قدميه بنفسه إذا ما أطاحت به النوائب"[1].

فالمسألة إذن خطيرة لأنها تخص عالم الأفكار، فمالك بن نبي يرى أنّ عالم الأفكار في المجتمع الإسلامي، يعاني من ضعفين، ضعف داخلي يمس تجهيزنا المفاهيمي وهذا من مخلفات الاستعمار. إذ أنّ الشعوب ورثت الذلّ والإحباط، وشعرت بالضعف وأصبحت تشك في قدرتها على التغيير. وضعف منهجي فرضته هيمنة الدول المتقدمة المسيطرة على العالم، وباجتماع الضعفين أصبحت حياة الأفكار في المجتمع الإسلامي صعبة، لأنّه لم يتوصل إلى الطريقة السليمة التي تربط عالم الأفكار بعالم الأشياء، وهذا ما ينتج تأثيره السلبي على كل الحياة في الأشكال المختلفة للافعالية. وقد تكوّن من الوجهة الاجتماعية أهمّ مشكلات العالم الإسلامي.[2] ففي هذه المرحلة يبحث عن الأفكار النظرية التي لا تأخذ طريقها إلى التطبيق، وبدل أن تدرس معاناة الناس ومشاكلهم تجدنا نتكلم عن الماضي الذي ليس له صلة بالحاضر، ونجد الأصوات التي اتخذت لغة الخطاب منتشرة في كل الأوساط، وتظهر هنا ظاهرة التعالم والحرفية كما يسميها بن نبي، وهي في رأيه مرض يصعب التخلص منه، فالأمّي يسهل أن تعلّمه لأنّه مستعدّ للتعلّم ويعلم جيّدا حاجته لذلك، لكن المتعالم تجده يأبى ذلك، فيصبح العلم بالنسبة له سلمًا يصل به إلى الوظيفة، وتصبح الألقاب العلمية زينة تتصدر المجالس.

[1] مالك بن نبي:"شروط النهضة" ص52.

[2] ينظر المرجع نفسه ص58.

ب) **عالم الشخوص:**

يرى مالك بن نبي أن تعلق الناس بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالمبدأ أو الفكرة، يجعلهم يؤمنون بالبطل القادم الذي ينتظرونه لإنقاذهم من الحالة التي هم عليها، فالخلاص في نظر مالك بن نبي لا يتم بالتعلق بشخص معيّن، وإنما يكون بالتفاف النّاس حول مبدأ يدافعون عنه، ويتفانون في تحقيق نتائجه على أرض الواقع، لكن دون أن ينقص ذلك من دور هذا الرجل في تنظيم جهود هؤلاء الأشخاص، والاستفادة من خبراتهم المتنوّعة في المجالات المختلفة، إذًا فالتعلق لا يكون بالشخص وإنّما بالفكرة أو المبدأ الذي يسعى لتحقيقه هؤلاء الأشخاص، فمالك بن نبي يركّز في كثير من كتبه على هذا المرض، ويطالب المسلمين والشباب بشكل خاص، بأن يتحوّلوا للارتباط بالمنهج لا بشخص معيّن، لأن هذا الشخص مثل الرأس الذي يقود عربات القطار، فإذا انحرف القطار كلّه، ويرى مالك أن الأشخاص عند تعلقهم بالبطل القادم، فإنهم ينتظرونه دون أن يقوموا بجهد يذكر، ويصبح هنا المثل الأعلى هو الشخص الأقدر على الكلام المعسول ولو لم يكن له أي دور اجتماعي "وقضية الجهل لا تعالج بمجرد وضع البرامج التعليمية، بل يجب أن يكون أولاً عملية تصفية نفسية، وبكلمة واحدة أن يكون التعليم بناء للشخصية الجديدة"[1]، هذه الشخصية الفاعلة القادرة على النهوض والإصلاح، فمالك بفطرتة يعلم أنّ الرجوع إلى منهج الدين الإسلامي هو الصواب، ويؤكدّ أن الانطلاقة تكون من تغيير النّفس ثم إصلاح الغير. فمشكلتنا نحن المسلمين ليست في قلة الأشخاص وإنّما في تفعيل دورهم، وإنشائهم على الفاعلية التي تعتبر مفتاح التحضر عند الأمم.

[1] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ص48.

ج) عالم الأشياء:

في عصر التخلف وغياب المناخ العلمي لم يستفد المسلمون من الأشياء المادية. فمثلا عند اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية لم يطوّر هذا الاكتشاف، بل اقتصر على تراكم المعلومات والمعارف النظرية دون أن يطوّر هذا الاكتشاف من الناحية التطبيقية، وقس على ذلك الكثير من الاختراعات التي كان العربُ سبّاقين إليها، لكنّها لم تطوّر، بل استغلها الغرب وطوّروها ونسبوها لأنفسهم.

فعند طغيان الأشياء تتغلب النزعة الكمية، فالموظف الكبير يحب أن يكون في مكتبه أربعة هواتف. ويميل الناس إلى تكديس الأشياء ويقبلون على الاستهلاك، ويظنون أن هذه هي الحضارة، فمالك بن نبي يرى أنّ في هذا العصر لم يعد تقدّم الأمم يقاس بما تملكه من عتاد صناعي مدني أو عسكري، بقدر ما أصبح يقاس بما تملكه من معلومات ومعارف. وحلت تكنولوجيا المعلومات محل التكنولوجيا الصناعية، وأخذت العمالة اليدوية تخلي مكانها لمصلحة العمالة الفكرية، مما وضع الأمم كلها أمام سباق واحد، وأمام فرص متكافئة، يفوز فيها من كان الأكثر إعمالاً لعقله.[1]

والأسباب التي أوصلت الأمم لهذا المنعرج الخطير، هو طغيان الجانب المادّي أو عالم الأشياء، فالبلد المحروم من مظاهر الحضارة والمدنية يفرط في تكديس الأشياء، والبلد المتشبع بالأشياء يهرب منها بسبب ألفته لها ولكنها بهذا الانفعال المزدوج يواجهان نفس الداء، وهو طغيان الشيء الذي تختلف أعراضه وإن اتفقت نتائجه النفسية وهي: "أن الشيء يقصي الفكرة من العالم الثقافي ويطردها من ضمير كل من الشبعان والمحروم على السّواء"[2]، فالحضارة إذًا تكون بالرّبط بين العوالم الثلاث دون طغيان إحداها على الأخرى، وبذلك يكون التوافق بين الأشخاص والأفكار الفاعلة التي يحملونها وبين الأشياء التي يجندونها من أجل ضمان حياة واستمرار هذه الفكرة، حتّى تولّد حضارة.

---

[1] ينظر مالك بن نبي:"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" ص110.

[2] المرجع نفسه ص115.

الفصل الثالث

القيم الإسلامية كمحرك حضاري

أوّلا : ضوابط القيم الإسلامية.

أ) الضابط المفهومي :

إنّ الإسلام يحرص على إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له، ولا يتأتى ذلك إلاّ بجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصوده وأفكاره وميوله وفق المناهج والأوضاع والكيفيات التي جاء بها الإسلام، فسنّ الإسلام أحكامًا تنظم علاقات الإنسان وتبين له منهجه في الحياة، وسنّ له مقاصد تتماشى وحاجاته الدنيوية ليضمن العيش في سعادة وطمأنينة.

1- الأحكام:

قبل أن نذكر أنواع الأحكام في الإسلام، يجب الإشارة إلى مصادرها أوّلاً فمصادر الأحكام الشرعية في الإسلام نوعان "الأوّل: مصادر أصلية وهي الكتاب والسنّة النبوية، والثاني: مصادر تبعية قامت على المصادر الأصلية كالإجماع والاجتهاد بأنواعه المختلفة، كالقياس والاستحسان والمصلحة المرسلة...وهذه المصادر كلها تجعل الشريعة الإسلامية في غاية القدرة والاستعداد والأهلية للبقاء والعموم، بحيث لا يحدث شيء جديد إلاّ وللشريعة حكم فيه"[1] وهذا ما يضمن صلاح الدين الإسلامي لكلّ زمان ومكان.

والأحكام الشرعية في الإسلام نوعان:

النوع الأوّل : القواعد والمبادئ العامة :

فقد وردت في الشريعة قواعد ومبادئ عامة تتضمن أحكامًا عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل مكان وزمان، كما تعتبر أساسًا يقام عليها كل الأحكام الجزئية المتفرعة عنها، ومن هذه الأحكام:

[1]- عبد الكريم زيدان:" أصول الدعوة"، مكتبة القدس، مصر ط4، 1991، ص68.

- **مبدأ الشورى:**

" وهو مبدأ أصيل من مبادئ الشريعة في نظام الحكم الإسلامي، ووصف من أوصاف المسلمين في تجمعهم ومباشرتهم أمور الحكم والسلطان قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُم فِي الْأَمْرِ﴾[1] وقوله أيضًا: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2]"[3]

ويعتبر هذا المبدأ أسمى وأعدل وأحكم قواعد الحكم الصالح بين البشر ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره أبدًا.

- **مبدأ المساواة:**

وهو أيضًا من مبادئ الإسلام العظيمة، فقد ساوى الإسلام بين النّاس في التكاليف، وأمام القانون. فالإسلام لا يفرّق بين أفراد المجتمع في العقوبات. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلّم في الحديث النبوي: (**وأيم الله لَوَ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**)

فلا شكّ أنّ المساواة في الإسلام، يبنى عليها مجتمع خال من التحيّز والظلم، فهو سلوك ومبدأ تهفو إليه الفطرة السلمية.

- **مبدأ العدالة:**

العدالة في الإسلام مبدأ بارز، حيث يظهر في كل علاقات البشر ببعضهم البعض، فالعدالة تكون للقريب والبعيد، وللعدوّ والصديق، وتكون في البيت وفي شؤون الدولة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

[1]- سورة آل عمران الآية 159.

[2]- سورة الشورى الآية 38.

[3]- عبد الكريم زيدان:" أصول الدعوة"، ص62.

الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[1].

ولا شك أن هذا المبدأ يضمن مصالح النّاس فيما بينهم باختلاف انتمائهم وأعراقهم.

- **قاعدة لا ضرر ولا ضرار:**

وهذه القاعدة معناها "أن الضرر مرفوع بحكم الشريعة أي لا يجوز لأحد إيقاع الضرر بنفسه أو بغيره، كما أنّ مقابلة الضرر بالضرر لا يجوز لأنه عبث وإفساد لا معنى له"[2]. وهنا تكمن فائدة هذه القاعدة في استقرار الناس وأمنهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم.

النوع الثاني: الأحكام التفصيلية:

الأحكام التفصيلية في الشريعة الإسلامية كثيرة، يطول شرحها وبيانها وفحصها لإظهار مدى قابليتها للبقاء والاستمرار.

ولهذا نكتفي بذكر عينات ونماذج من هذه الأحكام التفضيلية ومنها: وجوب الإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه، وهي من البديهيات التي يؤمن بها كل عقل سليم وكل فطرة سليمة، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[3]

---

[1]- سورة المائدة الآية8.

[2]- عبد الكريم زيدان:" أصول الدعوة" ص63.

[3]- سورة النور الآية 52.

- ومن أحكام العبادات وجوب الصلاة والصيام ونحو ذلك، ومسائل العبادة من لوازم الإيمان بالله ومقتضاه، لأنّها تنظيم لعلاقة الفرد بخالقه والوفاء بحق هذا الخالق العظيم، وهي وسيلة لتزكية النفس وطهارتها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [1]

- وأحكام الأخلاق" كوجوب الصدق والوفاء والأمانة والالتزام بالكلمة والتعاون على البرّ. وحرمة الكذب والغدر والخيانة والتعاون على الشرّ، والتحلّل من المسؤولية، واستغلال النفوذ والظلم"[2]، فهذه الأحكام الأخلاقية ضرورية لكل إنسان، ولكل مجتمع إنساني يريد الصلاح والسداد.

- وهناك الأحكام المتعلقة بالمعاملات،" كتنظيم الأسرة، وتحديد أحكام الزواج والطلاق والحضانة والنسب والميراث والنفقة، وتحريم الربا وهو حكم يخصُّ تنظيم المعاملات المالية...وهناك أحكام العقوبات التي جاءت مفصّلة لعدد من الجرائم كالردّة والزنى والقذف والسرقة وقطع الطريق وشرب الخمر، وقتل النفس وغيرها"[3]

وكل هذه الأحكام جاء على نحو صالح واف كاف لتحقيق الخير والصلاح للناس ولا يمكن الاستعاضة عنها بأحسن منها.

---

[1]- سورة العنكبوت الآية 45

[2]- عبد الكريم زيدان:" أصول الدعوة" ص64.

[3]- المرجع نفسه ص66.

2- المقاصد:

لقد حرصت الشريعة الإسلامية على مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]

فالرحمة تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، ومقاصد الشريعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

* **الضروريات:** وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فشرع الجهاد، وحرّم القتل وجعل شرب الخمر من الكبائر، وشرع الزواج، وحرم التبذير.

* **أما الحاجيات:** فهي التي يحتاجها النّاس لتحقيق اليسر والسعة في عيشهم، وإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة ولكن يصيب النّاس ضيق وحرج، وشرع بذلك الطلاق، وشرعت الدية في القتل الخطأ.

* **أما التحسينات:** فهي التي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق وإذا فاتت خرجت حياة الناس عن النهج القويم السليم، الذي تقضي به الفطرة السليمة والعادات الكريمة، فشرعت الطهارة للبدن والثياب، وستر العورة، والنهي عن بيع الإنسان على بيع أخيه، والنهي عن قتل الأطفال والنساء في الحروب"[2] وغير ذلك من مقاصد الشريعة التي لم تترك جانبًا أو مجالاً في حياة الإنسان إلاّ وقدّمت له حلولاً تكفل له العيش في سعادة ورخاء.

---

[1]- سورة الأنبياء الآية 107

[2]- عبد الكريم زيدان:"أصول الدعوة" ص60.

ب)**الضابط التعبدي:**

1) الفقهي(الروحي):

شرعت العبادات في الإسلام لتنظم علاقة الفرد بربّه، وتظهر عبوديته لله تعالى على وجه واضح. وهي حقّ الله الخالص على عباده، وفي مقدّمتها الصّلاة، فهي عماد الدين الإسلامي، لأنها رابطة مباشرة بين العبد وربّه، يظهر فيها المصلّي خشوعه لله وتذلّله بين يديه بالدعاء والاستغفار. فالصلاة "تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]، وتهذّب النفس وتحيي الوجدان، وتنير الضمير، وتربي المصلي على الطاعة، والنظام والصبر والانضباط، والتخلق بالخلق الكريم"[2]، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلاّ بعدًا.

"وصلاة الجماعة تربي المصلي على المحبّة والمساواة، ومدّ يد المعونة لكل محتاج منهم وهذا ما يتحقق في صلاة الجماعة، والجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والخسوف والكسوف"[3] فالصلاة تجعل العبد يتعلّق بخالقه، ويبتعد عمّا يغضب ربّ العالمين.

- والصوم "مدرسة ومؤسسة تربوية ناجحة، يتخرج منها المؤمن صافي الروح، نقي القلب، زكي النفس، مستقيم الخلق، مستنير العقل، وفيها يتلقى المؤمن التربية الاجتماعية التي تدفعه نحو الفقراء والمساكين، والمحتاجين والبؤساء، لأنها تطهّر النفس من القسوة، وتزكّي الروح من الأدران وتنظف القلب من الظلم، وتحارب البخل والجشع والشح، وتعلّم القول السديد، والانتفاع بالوقت والصدق

---

[1]-سورة العنكبوت الآية45.

[2]-حسن رمضان فحلة:" مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام"، دار الهدى، الجزائر، ط1، 1989، ص42.

[3]-المرجع نفسه ص43.

والعمل الصالح، والإصلاح بين النّاس، وتدرّب المؤمن على البرّ والتقوى"[1] فتنمي عنده المشاعر الأخوية والمعاني الإنسانية.

- أما الزكاة فهي "معجزة الإسلام في التكافل الاجتماعي، بحيث تؤمّن للمحتاج حاجته وللفقير ما يعينه على الحياة، وللمشاريع الخيرية استمراريتها، مما يضمن دوام المصلحة العامة "[2] ليبقى العضو في أمة الإسلام قويًا، كريمًا، عزيزًا، سعيدًا.

- والحجّ مؤتمر إسلامي كبير، واجتماع للتعارف بين المسلمين جميعًا، ففيه يلتقي المسلمون الوافدين من كل الأصقاع "وفي الحجّ تبحث المشكلات التي تعترض سبيل المسلمين وكانت معوقًا لتقدّمهم، ونهوضهم لمزيد من العمل المستمر والتخطيط الواضح والمدروس على ضوء حاجيات الأمة ومطالبها، لدفع عجلة الحضارة الإسلامية قدمًا إلى الأمام، وفي الحجّ إعداد للمؤمن على روح التعاون الاجتماعي وتطهير له من مفاسد الحياة المادية، وتخليصه من العزلة والأنانية، بالإضافة إلى تدريبه على التقشف وخشونة العيش، والاعتماد على النفس، وتحمّل الشدائد، وفي الحجّ تذوب الفروق الفردية، فلا يتعالى في جماله على الفقير لأن لباسهم واحد، وذلك لتطبيق المساواة الحقة بين المسلمين"[3] وهذا ما يضمن توحدهم وتكتلهم.

فالعبادات إجمالاً تردع المؤمن عن ارتكاب المعاصي، وتجعله يراقب ربّه في السرّ والعلانية، وتقوّي في نفسه خشيته، ولاشكّ أن المجتمع سيكون آمنًا ومستقرًا وسعيدًا، إذا زاد فيه عدد الصالحين، وعلى هذا فالعبادات في الإسلام تصلح الفرد والمجتمع على حدّ سواء، هذا الفرد الذي هو اللبنة الأولى في إنشاء مجتمع حضاري يطمح للتحضر في كلّ حركاته وسكناته، وبذلك هي أساس من الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية.

---

[1]- حسن رمضان فحلة:" مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام"، المرجع السابق، ص44.

[2]- المرجع السابق ص45.

[3]- حسن رمضان فحلة، المرجع السابق، ص45.

2) الصوفي:(القلوب):

إن التصوف منهج تربوي وصحّي، يرمي لصقل النفس الإنسانية، وتهذيب ميولها وتقويم رغباتها، مما يهبها الطمأنينة ويورثها اليقين، فقد قيل إن التصوف هو "فرار الأحد (أي الفرد) إلى الأحد (أي الله)" [1] أي بما يدلّ على التماهي الروحي الذي يجاهد فيه الفرد للوصول إلى الذات الإلهية فيكبح جماح شهواته، ويخفف من اندفاعه نحو المادة واستغراقه في التهافت عليها، والتصوف يدعو الفرد إلى إحلال التوازن بين شواغله وهمومه الحياتية من ناحية، وبين حاجاته الروحية ونوازعه المعنوية من ناحية أخرى. "فأصحاب العبادة لا يستمدون من التوحيد أكثر من حالة نفسية معينة تحصل بها ملكة الطاعة والانقياد وتفريغ القلب من شواغل سوى الله"[2]

فالمنهج الصوفي يتجاوز العبادة النظرية الخاضعة لقوانين الفقه إلى عبادة القلوب، وهي حالة نفسية معينة لا توجد عند غير المريد: "فالمريد في مجاهدته وعبادته ينشأ له عن كل مجاهدة حال هي نتيجة لتلك المجاهدة، وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة فترسخ أو تكون صفة حَاصلة للنفس من حزن أو سرور...وكلها تنتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة"[3]

فالتصوف يعتبر ذلك النهر الروحاني العميق الذي ينساب خلف الدين فقد قال عنه أحد المتَصَوِفِينَ: "ليس التصوف رسومًا ولا علومًا ولكنّه أخلاق"[4]، فالتصوف ليس زهدًا مقتصرًا على نفي

---

[1]- مجلة "الواقع الديني اليوم"، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بين الحكمة:" التصوف كجسر بين الأديان والحضارات"، تقديم آن ماري ميشال، سنة 1999، ص59.

[2]- العيد فقيه:" التجربة الصوفية كمصدر لبناء تصور حول الصحة النفسية"، دكتوراه في علم النفس العيادي، جامعة وهران، 2005/2004، ص133.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون:" المقدمة"، ص585.

[4]- أبو بكر محمد الكلاباذي:" التعرف لمذهب أصل التصوف" تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبات الكلية الأزهدية، القاهرة، ط2، 1980، ص85.

الدنيا وإهمال الوظائف الدينية، أو أنه أحلام غير مفيدة، بل هو إحياء القلوب وتجديد الحسّ الديني العميق، وهو العشق الذي نحتاج إليه في هذه الأيام لنحيا ونحيي أهل الدنيا.

3) الاستخلاف: لقد قال عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

فالعبادة تتضمن معرفة الله ومحبته، والخضوع له وإتباع منهجه الذي وضعه للإنسان ليظفر بالسعادة الحقيقية هنا وهناك في الدنيا والآخرة، فالإنسان خلق لعبادة الله بمعناها الواسع فكل حركاته وسكناته هي في الأصل عبادة إن استحضر النية في ذلك، فسعيه لكسب رزق عياله عبادة. وزواجه ليعفّ نفسه عبادة، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة، وكلّ صغيرة وكبيرة يقوم بها عبادة. فالإنسان مخلوق ليعبد الله عزّ وجلّ، ومن انتهج منهجه القويم، ضمن السعادة في الدنيا والآخرة. "ومن أجل ذلك كانت خلافة الإنسان لربّه على الأرض تعبيرًا عن تحمله لمسؤولية بناء مجتمع إنساني، يشارك في عمران الأرض، ويسمو بروحه في الوقت نفسه على العالم المادي".[2]

فالإنسان مكرّم عند الله عزّ وجلّ فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، ورَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[3].

---

[1]- سورة الذاريات الآية 56.

[2]- عفت الشرقاوي:" أدب التاريخ عند العرب"، مكتبة الشباب، القاهرة، ص205.

[3]- سورة الإسراء الآية 70.

وهذا التفضيل يستوجب على الإنسان أن يكون إنسانًا حضاريًا، قادرًا على البناء والتشييد، لأن الإنسان هو عماد الحضارة الإسلامية فما عليه إلاّ أن يتخذ من مبادئ الإسلام دستورًا له، لأنها قبس من نور الله، وتراث من حكمته، "فالإنسان خليفة استخلفه الله على الأرض، وعليه لذلك أن يتجه بروحه وقلبه إلى الله وحده لا شريك له، يعبده ويطيعه، ويعمل بشرائعه ويوقن أنّه معه في كل مكان وحين." [1] يعلم السر وما يخفى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2]

فالإسلام أعطى للإنسان حريته واستقلاله الفكري والمالي والاجتماعي ورفع شأنه، وجعله خليفة لله على الأرض يعمرها ويمحو منها الفوضى والجهل والجمود والظلام، بما وهبه الله من عقل مفكّر، وما بعث إليه من دين، وما حثه عليه من علم، وما شرع من الشرائع الاجتماعية التي تزيد في وحدة المجتمع الإسلامي وقوته، فحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة التي تؤدّي للفرقة والشتات، وبذلك كان المنهج القويم الذي يسلكه خليفة الله في الأرض، ليبني ويشيدّ حضارة خالدة خلود هذا الدين القويم، وخلافة الإنسان في الأرض في فكر مالك بن نبي هي مسؤولية عظيمة، عدّها أمانة يجب الاعتناء بها والحفاظ عليها، ومن هنا انشغل بإصلاح هذا الإنسان من جانب إنسانيته، نيته في ذلك تحسيسه بذاته وإعداده لتحمل أعباء المسؤولية مع نفسه ومع غيره لتغيير حاله ومحيطه، وبالتالي "فاللون الإصلاحي هاهنا هو لون فردي واجتماعي عامًّا، فالجوانب الإصلاحية عند هذا المفكر فيما كتبه لا ينهض إلاّ على أساس الإصلاح الفكري الحضاري، وجميع الإصلاحات في فكر مالك بن بني منطلقها، منطلق عقيدي إسلامي بحت"[3] فالإنسان في نظر مالك بن بني سيد

---

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي:" الإسلام والحضارة الإنسانية"، دار الكتاب البناني بيروت، لبنان (دط)، 1982، ص13.

[2]- سورة الأنعام الآية 162.

[3]- رابح سنايسى:" الفكر الديني المعاصر في الجزائر". دكتراه الدولة ، جمعة تلمسان ، 2001/2002 ،ص231.

بالفطرة، وأن الغرائز هي التي تجعل منه يجنح عن الدين في تصرفاته وسلوكاته، فيصبح في هذه الحال عبدًا لشهواته، حيث تضيق كل أبعاده الزمانية ويصبح إنسانًا لا يفكر إلا في وضعه الحالي، وليس للزمان عنده أدنى اعتبار، ولا للوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه أدنى قيمة، وبذلك يحيد عن الوظيفة التي خلق من أجلها، لأنه أصبح لا يفكرّ إلا في حدود ضيقة، تقيّده عن النظر للمستقبل، وتقلص رؤيته نحو الواقع الذي يعيش فيه، فبن نبي ركّز على أن يكون الإنسان المسلم إنسانًا حضاريًا بفكره وأخلاقه وأعماله، يتجاوز حدود مصالحه الفردية الضيقة، ويفكرّ في إعمار الأرض، لأنه خليفة الله عليها.

ج) الضابط الاجتماعي:

1) الأمّة:

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "الأمة" في اللغة العربية يعني "الدين والطريقة والملة، فيقال: فلان لا ملة له أي لا دين له، كما تدل الأمة في اللغة أيضًا على النعمة والعيش الحسن".[1]

وقر اختصت الأمة الإسلامية بخصائص ميزتها عن باقي الأمم ومن أهم هذه الخصائص:

* أنها أمة مهدية من الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

* أنها الأمة الخاتمة: لأنّ النبي صلى الله عليه وسلّم كان خاتم النبيين قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[3].

---

[1]- محمود حمدي زقزوق:" موسوعة الحضارة الإسلامية، المجلس العلى للشؤون الإسلامية القاهرة، العدد 4، سنة 1426، 2005 ص424.

[2]- سورة الشورى الآية 52.

[3]- سورة الأحزاب الآية 40.

* أنها أمة ذات كتاب محفوظ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، وذلك ليشدّها إلى الحق مهما ضلت، وأنها قد تهجره، لكنّ حياتها ونشاطها لا يكون إلا به مع المجددين، فالأمّة المسلمة تستوعب الطوائف المختلفة في الاتجاه والفكر. تحت مظلة الدين والعقيدة، التي تذيب كل هذه الفروق وتولّد الوحدة والألفة، وهذا ما يضمن لهذه الأمة الخلود، خلود هذا الدين الذي تستمد منه قوتها ووجودها.

* أمة صلاح وإصلاح: فالأمة الإسلامية لا تحرص على بقائها فقط، بل تسعى لإصلاح الغير. بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك استحقت أن تكون خير أمة. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2].

* أنها أمة دين: لأنها رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبيًا، وبذلك هدمت كل الفوارق بين البشر، وجعلت من سلطان الدّين حاكمًا على المنتمي إليها، واستطاعت أن تتعايش مع باقي الأمم ضمن ضوابط تحكم علاقاتها المختلفة والمتنوّعة، ولم يمنعها اختلاف المعتقدات والرؤى الدينية من أن تبني علاقات وطيدة مع مختلف الأمم، عبر العصور المختلفة.

فالأمة الإسلامية هي مستودع للرسالة المحمدية، أي أنها هي وعاء القرآن الكريم، به تأسست واستمدت قوّتها وبه ستعيد نهضتها من جديد، لأن القرآن هو نهج شامل لحياة لا انفصال فيها بين الدنيا والآخرة، مما يولّد في الأمة قوة دفع ذاتية للسعي حثيثًا نحو تطبيق نظمها وتجسيدها في أرض الواقع.

---

[1]- سورة الحجر الآية 09.

[2]- سورة آل عمران الآية 110.

2)الانتماء:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وفطره على حبّ الاجتماع، وبث فيه غريزة الانتماء وجعل الإيمان به شرطًا لانتماء الإنسان للمجتمع الإسلامي، فبمجرّد أن يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسولا لله، يصبح الإنسان فردًا من الجماعة المسلمة، له ما لها وعليه ما عليها، وقد حرص الإسلام على زرع العدالة الإنسانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1] هذه الوحدة التي تكفل لكل فرد حقّ الانتماء، فالإسلام لم يبعث لطائفة معينة أو قوم مخصصين، بل بعث للنّاس كافة، وهذا الانتماء يكفل للمسلم حقوقه المختلفة، كما يفرض عليه الولاء للجماعة المنتمي إليها، فيتبع منهجهم، ويخضع لنظامهم وقيادتهم، وبذلك يكفل جميع حقوقه في الأمن والأمان والعيش بسلام وهي من أكبر النعم التي أنعم بها الله على عباده يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[2].

ففي حضن الجماعة المسلمة يعيش المسلم حق الانتماء للأمة، بل يتوسع مفهوم الانتماء إلى غير المسلمين، فتكفل حقوقهم في ظل المجتمع الإسلامي بحق المواطنة، الذي هو من الحقوق المشروعة لكل فرد يتعايش مع الأمة الإسلامية بسلم وسلام، وينضبط بقوانين الدولة التي يعيش فوق ترابها. وبذلك يتمتع بحقوقه المشروعة دون النظر إلى عرقه أو لونه أو عقيدته. لأن الإسلام منذ الوهلة الأولى أذاب هذه الفروق تحت مظلة الوحدة الإنسانية.

---

[1]- سورة النساء الآية 01.

[2]- سورة النساء الآية 75.

3) رسالة الإنسانية:

لقد أفاد الإسلام العالم كلّه من الناحيتين الدينية والمدنية إفادة يتعذر تقديرها، فمنحهم حرية الفكر والنّظر، فهو دين سُنّ للناس كافة، وضمن للإنسان إنسانيته في حضارة تنظر إليه على أنّه مخلوق كرّمه الله، بغض النظر عن عرقه ودينه وتوجهه، فالإسلام نشر أفكار الحقّ والعدالة والحرية والمساواة والإخاء والشورى والتعاون والخير والمحبّة والرّحمة والسلام، ليعيش النّاس في ظلال وحدة مجتمعة في الأفكار والأهداف والمبادئ والغايات، في ظلال عالم موحّد تسوده الطمأنينة والأمن والسّلام، فالحضارة حضارة إنسانية بالدرجة الأولى، حضارة مشتركة غايتها الإخاء بين الروح والمادّة وبين العقل والجسم وبين الواجب والحقّ.

فالإسلام بمبادئه وأخلاقه منح البشرية المنهج القويم لضمان السّعادة والاستقرار، أمّا من النّاحية المادّية ، فالإسلام حافظ على التراث العلمي العالمي، وتولاّه بالزيادة والتمحيص، وطبّقه على حاجات الحياة الإنسانية. فالحضارة الإسلامية جمعت الحضارات تحت مظلّة واحدة، هي الحضارة الإنسانية.

وهذا ما جعل الغربيين أنفسهم يعترفون بعظمته، فيقول"برناردشو": " إنّي أرى الإسلام دين أوربا في أواخر القرن العشرين"[1]

ويقول "جوته" عندما أدرك حقيقة الإسلام : "إن كان هذا هو الإسلام أفلا نكون مسلمين"[2]

---

[1]- محمد أركون:"العلمنة والدين الإسلامي"، دار الساقي، بيروت، ط3، 1996. ص85.

[2]- المرجع نفسه. ص86.

ويقول "شو" كذلك:" لابدّ أن تعتنق الإمبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن.

ولو أنّ محمدًا بعث في هذا العصر لنجح تمامًا في حل جميع المشكلات العالمية، ولقاد العالم إلى السّلام والسّعادة المنشودة"[1].

فبن نبي ركّز على إنسانية الإسلام، ونظر إلى الدّين على أنّه" التغيير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة خلال القرون، وهو يُعدّ في منطق الطبيعة أساس كل التغييرات الإنسانية الكبرى"[2] فحقّ للإسلام أن يكون دينًا للبشرية، يأخذ بيدها نحو التحضّر والتطوّر.

يقول جوته كذلك :"القرآن سيحافظ على تأثيره إلى الأبد، لأن تعاليمه مطابقة للحاجات الفكرية لقوم معتزّين بتقاليدهم".[3]

فالإسلام بتعاليمه القائمة على العدل والمساواة وحفظ الحقوق، تجعل منه دين البشرية القائم على مصالحها الدنيوية والأخروية، فيبطل بذلك كل الأنظمة الوضعية المناقضة لتعاليمة.

---

[1]- محمد أركون:"العلمنة والدين الإسلامي"، المرجع السابق، ص87.

[2]- مالك بن نبي:" وجهة العالم الإسلامي". ص154.

[3]- مجلة "الحضارة الإسلامية"عدد خاص بالملتقى الدولي حول"الإنسان في الكتب السماوية" المعهد الوطني للتعليم العالي والحضارة الإسلامية، وهران، ع4، شعبان 1419هـ/ نوفمبر 1998، ص272.

ثانيا :الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية :

أ) الوظيفة الروحية:

إنّ من الوظائف الأولى للدّين هو تزكية روح الإنسان، فقد إعتنى الإسلام بكلّ ما يؤدّي إلى صفاء روح العبد، بدء بالعبادات التي تساعده على القرب من الله، والبعد عن كل المعاصي والرذائل. إضافة إلى تفصيل أمور الدنيا والآخرة، بما يضمن للعبد السلامة والطمأنينة والعيش الرغيد. فالإسلام هو الرّوح الحقيقية للإنسان والنور الهادي له في درب الحياة، والشفاء الكافي الوافي له من كل الأمراض، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[1].

وقال أيضا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وقال كذلك: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[3].

---

[1]- سورة الشورى الآية 52.

[2]- سورة الإسراء الآية 82.

[3]- سورة فصلت الآية 44.

فالدّين هو"عماد الحياة الروحية ومنبع الطمأنينة للنّفس ومصدر سعادتها، بشرط أن تظهر آثار هذا الدّين في سلوك الإنسان وعمله"[1] لأن الحياة الروحية هي الدافعة للخير، فمتى امتلأ قلب الإنسان بالإيمان، قويت إرادته وأقبل على الدّنيا بنظرة تفائلية، يرجو فيها ثواب الله، ويستحضر النية في كل تصرفاته مما يجعل روحه تهفو لخالقها في رحاب الطاعات.

فيرى بن نبي أنّه " بدون العامل الروحي أو المركب الروحي فإنّ الإنسان والتراب والوقت لن تعدو أن تكون ركامًا راكدًا، أو كومة مكدّسة لا تؤدّي دورًا في التاريخ، ولكن تجلّي الروح في غار حراء بالنسبة للإسلام...هو الذي أنشأ بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة"[2]

ب)الوظيفة الاجتماعية:

من الحقائق الثابتة الّتي أشار إليها العلاّمة ابن خلدون في مقدمته أنّ الاجتماع الإنساني ضروري وهو يعبر عنه بقوله: "الإنسان مدني بالطبع"[3]، ومعنى ذلك أن الاجتماع ضروري للإنسان، وهذا ما يؤيّده الواقع، فالإنسان يولد في المجتمع ويعيش فيه ويموت فيه، فالإسلام نظمّ الحياة الاجتماعية لأنّ النّظام ضروري للمجتمع لأنّه لا يتصوّر وجوده بدونه، وإلاّ أصبح المجتمع غابة يعيش فيها القويّ على حساب الضعيف، فتعاليم الإسلام في منظور بن نبي لها غايتان "غايتها أن تربط الأرض بالسماء وهو حين ينشئ الشبكة الروحية التي تربط الفرد والمجتمع بالله فإنها في الوقت ذاته تبني شبكة العلاقات الاجتماعية ،التي تتيح لهذا المجتمع أن يضطلع بمهمته الأرضية، وأن يؤدّي نشاطه المشترك، وهو بذلك يربط أهداف السّماء بضروريات الأرض"[4]. إذًا فالدّين يربط الصلة بالله

---

[1]- عبد الرزاق سبب "الثقافة وعلاقتها بالصحة النفسية" دكتوراه ماجستير في الصحة النفسية والالتماس العلاجي، جامعة تلمسان- 2010/2009، ص108.

[2]- مالك بن بني:" ميلاد مجتمع" ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الإنشاء، طرابلس، 1974، ص96.

[3]- ابن خلدون:" المقدمة"، ص77.

[4]- مالك بن بني:" ميلاد مجتمع"، ص95.

كما يبني العلاقات الاجتماعية التي تدخل بالمجتمع دائرة الحضارة، فالإسلام منذ الوهلة الأولى أبطل النظام القبلي وحياة المجتمع القبلية، وجعل المجتمع كلّه وحدة واحدة، يسوده الحبّ والتّعاون والإخاء، وأعطى للفرد كل حقوقه المشروعة، في مقابل ما فرض عليه من مسؤوليات وواجبات. وقد نظّم الإسلام المنظومة الإنسانية في مجتمع متماسك، فجعل المؤمنين إخوة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، هذه الرابطة الأخوية الإيمانية هي أعظم الروابط بين المسلمين، وهذه الرابطة لا تقتضي اضطهاد غير المسلمين، بل إنّ الإسلام يقبل في عضوية المجتمع الإسلامي غير المسلم ويأمر بحمايته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[2].

ومن الأنظمة الاجتماعية التي حرص الإسلام عليها الأسرة، فهي أساس كيان المجتمع، لأنّ من مجموعها يتكوّن المجتمع، فقد نظّم الإسلام الزواج وبين حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة. وبين أحكام الطّلاق، وأبرز كل تفاصيله وما يترتّب عليه، سواء للزوجين أو الأبناء، كما بين واجبات وحقوق الآباء على الأبناء، والأبناء على الآباء، كما دعم صلة الأرحام وأعطاها أولوية عظيمة ليضمن التحام شمل الأسرة الكبيرة، ونظّم علاقات النّاس ببعضهم البعض في السّلم والحرب، وفي الضيق والسّعة، ليضمن استمرار المجتمع ، فقوة تماسك المجتمع "موجودة بكل وضوح في الإسلام. ولكن أي إسلام؟ ! .الإسلام المتحرّك في عقولنا وسلوكنا. والمنبعث في صورة إسلام اجتماعي، وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلّف لنا حضارتنا المنشودة"[3]

فطاقات الفرد لا قيمة لها بمعزل عن طاقات الجماعة، بمعنى أن التنظيم الجماعي هو الذي يضمن تحويل الطاقات الفردية من وظيفتها البيولوجية الخالصة، إلى طاقة ذات وظائف اجتماعية

[1]-سورة الحجرات الآية 10.

[2]-سورة المائدة الآية 08.

[3]-مالك بن نبي:"ميلاد مجتمع" ص100.

وأبعاد إنسانية. وعليه" فليست المشكلة أن تعلّم المسلم عقيدة هو يمتلكها، وإنّما المهمّ أن تردّ إلى هذه العقيدة فعاليتها وقوّتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي".[1] فمنهج بن نبي الذي تبنّاه في إصلاحاته الحضارية هو القرآن الكريم، "فهو يدعو من خلاله إلى فهم واستيعاب محتويات القرآن والسنة وتحويلها إلى منهج حياتي"[2] هذا المنهج الذي ينظّم الحياة الاجتماعية ممّا يضمن سعادة الفرد والجماعة على حدّ سواء. فالتغيير الاجتماعي عند مالك بن بني" عملية بنائية تستهدف إقامة حضارة بواسطة نظام من العلاقات الاجتماعية، فالتغيير الاجتماعي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار، وهناك فرق عند مالك بن نبي بين التغيير الاجتماعي الذي هو من صنع الأفكار وبين التغيير الاجتماعي الذي هو ظاهرة تلقائية"[3]. والدّين القادر على التغيير الحقيقي هو الدّين السماوي ، الذي ينتقل بالإنسان من المجتمع البدائي إلى المجتمع التاريخي الحضاري.

ج) الوظيفة السياسية:

لقد أثّر الإسلام في حياة العرب السياسية. فضمن لهم وحدتهم السياسية الكاملة، فاستقلت بلاد العرب استقلالاً كاملاً، بعد أن كانت أطرافها تخضع لنفوذ الأمم القويّة المجاورة لها. "فكانت البحرين والحيرة تخضعان لنفوذ الفرس، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس وعرب غسان لنفوذ الروم"[4]. وبعد مجيء الإسلام توحّدت القبائل العربية تحت لواء واحد، وصار العرب يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله، ثم خلفاؤه من بعده، يحكمون بما أنزل الله، لأنّه لا يوجد مجتمع إلاّ وله رئيس "لما في طباع

---

[1]-مالك بن نبي:" شروط النهضة"، ص90.

[2]-أسعد السحمراني:"مالك بن نبي مفكرًا إصلاحيًا"، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986، ص112.

[3]-عصام عدوان: "مشكلات العالم الإسلامي الثقافية والفكرية والدينية ومعالجتها في فكر مالك بن نبي" دار الصفاء، عمان، (دط)، 2008، ص15.

[4]-محمد عبد المنعم خفاجي: "الإسلام والحضارة الإنسانية"، ص33.

العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من المظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم"[1]، وإذا وجد رئيس المجتمع أمكن عنه ذاك أن يأخذ المجتمع شكل دولة، وقد حرص الإسلام على تنظيم الحياة السياسية، فكانت مقومات وأسس تحكمها، بدء من وجود الخليفة وتبيين مهامه وشروطه وتحديد حقوقه وواجباته، فكان "عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع كما جعل مبدأ الشورى من أهمّ مقوّمات نظام الحكم في الإسلام، به نطق القرآن، وجاءت به السنّة، وأجمع عليه الفقهاء، وهو حقّ للأمّة وواجب على الخليفة، ومن مقوّمات نظام الحكم في الإسلام الخضوع لسلطان الإسلام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فسلطان الأمّة مقيّد بسلطان الإسلام، والخليفة هو نائب الأمّة في تطبيق سلطان الإسلام، فقد جاء الإسلام منظمًا للحياة السياسية بكلّ تفاصيلها، ومبينا حقوق وواجبات كلّ من الرئيس والمرؤوس، بما يضمن للدولة سيادتها وتطوّرها، كمّا نظّم علاقات الدول فيما بينها، فحرّم اعتداء بعضها على البعض، وضمن لكل أمّة خصوصياتها واستقلالها.

د) الوظيفة الاقتصادية:

من الحقائق الثابتة أنّ الإنسان يبذل كثيرًا من نشاطه وجهده للحصول على وسائل العيش. ولاشك أن هذا الجهد المبذول من كل إنسان هو ضروري لتوفير وسائل العيش للآخرين، لأن الإنسان لا يستطيع بمفرده أن يوفّر جميع احتياجاته، وقد جاء الإسلام بقواعد وضوابط تنظم هذا النشاط الاقتصادي، ممّا يضمن حقوق وواجبات كل فرد في المجتمع، فالأصل في الإسلام أنّ كل إنسان مكلّف بسدّ حاجاته بنفسه، أي بما يبذله من نشاط وجهد، ولهذا حثّ الإسلام على العمل والكسب قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[2]

[1]-أبو الحسن محمد الماوردي: "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، تحقيق حلي بن محمد المغربي، دار الأرقم، الكويت، (دط)، 1406هـ.

[2]-سورة الجمعة الآية 10.

وفي الحديث الشريف: "أنّ أفضل الكسب كسب الرجل من يده" ، أمّا إذا عجز الإنسان على سدّ حاجاته بنفسه لعجزه أو شيخوخته أو مرضه أو عدم تيسّر عمل له، فقد أوجب الإسلام على أفراد أسرته القيام بالإنفاق عليه حسب قواعد قررها الفقه الإسلامي، كما حقّ للّذي لا يجد عملاً أن يقترض من بيت مال المسلمين، لتأمين عمل مناسب، أمّا العاجز الذي لا يملك عائلة تعوله فقد سنّ له الإسلام أن يأخذ من زكاة المسلمين ما يسدّ حاجته، كما نظّم الإسلام أمور البيع والشراء والمعاملات الاقتصادية، ممّا يضمن لكل طرف حقوقه وأمواله.

ويبيّن القرآن الكريم والسنّة النبوية أمور الإرث، وكيفية تقسيمه وإعطاء كل ذي حقّ حقّه، ممّا يضمن عدم تكديس ثروات الميّت، بل الاستفادة منها وتطويرها في نشاطات أخرى ممّا يحقق صالح الفرد والجماعة. وتنشيط العملية الاقتصادية. "فلكل نشاط عملي علاقة مباشرة بالفكر فمتى انعدمت هذه العلاقة عمي النشاط واضطراب، وأصبح جهدًا بلا دافع، وكذلك الأمر حين يصاب الفكر أو ينعدم فإنّ النشاط يصبح مختلاً أو مستحيلاً. وعندئذ يكون تقديرنا للأشياء تقديرًا ذاتيًا"[1] فالنشاط الاقتصادي الذي يؤتي ثماره، لابدّ أن ينبعث من فكر ناضج، وخبرة مسبقة، وأن يسير على قواعد مضبوطة وخطوات مدروسة، حتى يضمن المجتمع التطوّر الاقتصادي اللاّزم، فكل عشوائي يكون مصيره الفشل أو تكون نتائجه آنية سريعة الزوال.

هـ) الوظيفة الجمالية:

حرص الإسلام على الذوق الجمالي في المظهر، فسنّ طهارة الجسم والثياب والمكان، وجعل هذه الطهارة شرطًا لقبول العبادات.

كما حرص على الجمال اللّفظي فسنّ التحية بين المؤمنين وحثّ على النطق بالكلام الجميل وحذّر من الكلام الخبيث.

[1]-مالك بن نبي:"وجهة العالم الإسلامي" ص80.

كما جعل الله الكون آية من آيات الجمال، وأمر الإنسان أن يتدبر في هذه الآيات، فالتصوّر الإسلامي للكون تصوّر جميل: فالسماء مزينة بالمصابيح: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[1] والتعبير بالزينة هنا تعبير موح بأن خالق الكون قد قصَد في خلقه أن يجعله جميلاً ،وأن الجمال جزء من بنية الكون الأصيل، والأرض التي يعيش عليها الإنسان قد جعلها الله معاونة له على الحياة ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾[2] والسّماء والأرض بما تشتملان عليه من طاقات وكائنات تعاونان كذلك في تهيئة الحياة للإنسان، وتيسير مهمته في الخلافة عن الله في الأرض، "فالقرآن يوجّه الإنسان إلى جمال الكون كله، لأنّ إدراك الحال الوجود يؤدي إلى إدراك جمال خالق الوجود"[3]، وهذا "الإدراك هو الذي يرفع الإنسان إلى أعلى أفق يمكن أن يبلغه، لأنه حينئذ يصل إلى النقطة التي يتهيأ فيها للحياة الخالدة، في عالم طليق جميل، بريء من شوائب العالم الأرضي والحياة الأرضية"[4]

فالإسلام يحرص على الجمال في كل نواحي الحياة، لأنه دين حياة، والحياة تستدعي الجمال، لأن الله سبحانه فطر الإنسان على حبّ الجمال في كل شيء في المنظر والمسمع والشم والملمس.

---

[1]-سورة الملك الآية 05.

[2]-سورة فصلت الآية 10.

[3]- محمد قطب :"منهج الفن الإسلامي " ، دار الشروق ، بيروت ، ط6 ، 1983 ،ص 23 .

[4]- سيد قطب : "في ظلال القرآن " ، ج 27 ، دار الشروق ، القاهرة ، ط16 ، 1990 ، ص 130

خاتمة

خاتمة:

أزمات الإنسانية والإنسان والحضارة اليوم هي أزمة الإنسلاخ من نواميس السماء، ومن منهج الوحي والدين والقرآن الكريم، وهي أزمة تمثل تيارات عاصفة تكاد تهوي بالعالم إلى مكان سحيق. وأزمة الإنسان المعاصر في الحاضر تتمثل في عدّة جوانب، يدعم بعضها البعض الآخر، وتسير بالمجتمعات والشعوب إلى حيث الانحلال والانهيار والدمار، وأولى أزمات الإنسان المعاصر اليوم الأزمة الروحية، أزمة الإنسان مع الوجود والحياة والكون، بل مع نفسه، بل مع ربّ السماء والأرض والناس أجمعين، ولمّا كانت القيم الدينية من العوامل الأساسية في دفع عجلة التقدم والبناء والإسهام الفاعل في الحضارة الإنسانية، لما تحويه من حوافز ودوافع وحقائق وأهداف تأخذ بيد الإنسان إلى العمل الصالح، الذي يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه في آن واحد، وتهدف إلى سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، فقد ركّز مالك بن نبي في دراساته المتعددة لمشاكل الحضارة على الجانب الروحي، وبيّن دور القيم الإسلامية في بناء حضارة إنسانية للناس جميعًا، وعند ملامستي لهذا الموضوع بالدّراسة توصّلت إلى النتائج التالية:

1- يرى مالك بن نبي أن الإسلام الذي يأمر الإنسان بالإيمان بالله إيمانًا كاملاً صادقًا فهو في الوقت نفسه يدعوه إلى الواقع، ليعمل من أجل خير أخيه لا في النسب والمواطنة ولا في العقيدة والدمّ، وإنما أخوه في الإنسانية.

2- إن السبيل لتحقيق حضارة إنسانية هو تربية الأفراد على الأهداف الروحية والاجتماعية والإنسانية التي دعا إليها الإسلام.

3- إذا كان منطلق الحضارة الإنسانية كياننا الديني، فلا يمكن أن نغفل الاستفادة من تجارب الآخرين في شتى الميادين.

4- إن فكر مالك بن نبي زاخر بقضايا جوهرية تخص الأمّة الإسلامية ،فلا بدّ للباحثين من الوقوف عليها بالدّراسة المستفيضة، للإفادة من آرائه الفكرية والحضارية لبناء مشروع حضاري جديد يدفع بالأمة الإسلامية نحو إعادة بناء صرح حضارة إنسانية جديدة.

ولسوف يتألّف من الغد والإسلام طاقة جديدة، تعيد الحياة الحرّة المبدعة إلى الإنسانية والإنسان. وتبني الرفاهية والسعادة للمجتمع البشري، ففلاح الإنسانية وصلاحها ومستقبلها أن تؤمن بالإسلام دستورًا ومنهج حياة، ولا يتأتى ذلك إلا بإصلاح أنفسنا أوّلاً و السعي لإصلاح الآخرين، لنعيش في السّلم والسلام في ظل حضارة إنسانية عادلة.

الملحق

ملحق: مالك بن نبي حياته وآثاره :

ولد مالك بن نبي في 1 يناير 1905في قسنطينة، انتقلت أسرته إلى مدينة تبسة في أقصى الشوق الجزائري، حيث اشتغلت والدته بالخياطة لتسدّ حجات بيتها، قبل أن يعمل زوجها موظفًا إداريًا. تابع مالك دراسته اللإبتدائية في تبسة، وتعلّم فيها جزءًا من القرآن، كان منذ صغره مولعًا بالمطالعة، ويفضلها على الرياضة وسائر الألعاب والاهتمامات الأخرى التي تشغل الشباب، فقرأ في شبابه معظم الكتب الشهيرة في الأدب والفكر الإنساني، وتأثر مالك بالحياة الاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في الوطن، فأصبحت المقاهي ملتقى يتبادل فيه الأفكار وقراءة الصحف العربية والفرنسية الكبرى، ويستمع إلى المذياع للإطلاع على أخبار المسلمين في العالم، واصل مالك دراسته الثانوية في قسنطينة، وتخرّج في عام 1925، فاشتغل عونًا في محكمة "أفلو" ثم في "شلغوم العيد" حتى استقال في عام 1928، هروبًا من المظالم السائدة في المحاكم الإدارية الاستعمارية. فعمل في التجارة إلى أن قرّر السفر إلى فرنسا لمواصلة دراساته العليا سنة 1930، سجّل بمدرسة المهندسين وكان يتردد كثيرًا على جمعية "الوحدة المسيحية للشبان البارسيين"، مما جعل تأثيره بهم يظهر فيما بعد، حين يستشهد مرارًا في كتبه بنصوص من الإنجيل والتوراة، وفي مكتبة "سانت جنفييف" (Sainte Genevieve) تعرّف على امرأة فرنسية مسيحية، تزوّج بها في عام 1931 بعد أن أسلمت، وسمت نفسها خديجة.

كان مالك بن نبي كثير النشاط، وصار مراقبًا من طرف مصالح الأمن الاستعمارية خاصة بعد مشاركته في نشاط الحزب الوطني الجزائري "نجم شمال إفريقيا" وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي انتخبته نائبًا للرئيس، وجمعية الوحدة العربية السرية التي أسسها فريد زيد الدين، أحد المقربين من الأمير شكيب أرسلان (1869-1946)، ألقى بن نبي محاضرته الأولى في ديسمبر 1931، وكانت تحت عنوان "لماذا نحن مسلمون؟؟" فكانت مفتاح شهرة له في الوسط الثقافي الطلابي في باريس، واكتشفه المستشرق الكبير "لويس ما سينيوس" وقدّم له دعوة ليتناقش معه في بعض القضايا الإسلامية.

كتب مالك منشورات ضد الممارسات الاستعمارية في الدول الإسلامية و وزّعها مع صديقه "بن الساعي" في شوارع باريس، وتعرّف على الطلبة العرب المقيمين بباريس، والذين أصبحوا فيما بعد مفكرين وعلماء كبار، وساعد بعضهم على تعلّم الفرنسية، وتعرف من خلالهم على المشرق العربي، واستفاد من ثقافتهم العربية الإسلامية الواسعة، وقد فكّر في هذه الفترة في الذهاب إلى مصر لدراسة مناهج التفسير في الجامع الأزهر.

تخرج بن نبي مهندسًا في الكهرباء في عام 1935، فعاد إلى الجزائر مع نية خدمة أبناء وطنه بتأسيس معهد بقسنطينة، لتحضير الطلبة الذين يرغبون في الدخول إلى كليات الهندسة في فرنسا لكنه لم يجد أي تجاوب من السلطة الفرنسية، فقضى عامًا في مدينة تبسة إلى جوار الشيخ العربي التبسي (1891-1957)، يساعده في نشاطات نادي الشبيبة الإسلامية.

وفي سنة 1938 أسس بعض العمال الجزائريين بمدينة "مرسيليا" نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة، فاستدعي مالك للإشراف عليه، لكن سرعان ما أوقفته السلطات الفرنسية بحجّة عدم امتلاك " المؤهلات الكافية لتدريس ألف باء"[1]

وبعد ذلك اضطر مالك للهجرة مرة أخرى إلى فرنسا سنة 1939 على متن الباخرة ولسانه يردد:"يا أرضًا عقوقًا !..تطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع، إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرّة !"[2]واستقر بباريس وضواحيها حتى عام 1956، وألف خلال هذه الفترة عدّة كتب دينية وأدبية وفكرية باللغة الفرنسية، وكتب في بعض جرائد الحركة الوطنية الجزائرية.

ثم سافر مالك إلى مصر، واستقر بالقاهرة، وكانت العاصمة المصرية في الخمسينات قبلة المثقفين العرب والمسلمين، ووجهة للحركات التحريرية، فحرص مالك منذ وصوله إلى القاهرة على الاتصال بالصحافة والمفكرين والعلماء والسياسيين المصريين والعرب المقيمين في مصر. لأنه يعلم أن الاحتكاك المباشر بهذه النخبة هي مفاتيح لدخول عالم الفكر والثقافة في مصر، فشارك في مختلف

[1] مالك بن نبي:"في مهب المعركة"، دار الفكر، دمشق، 1986، ص119.

[2] مولود عويمر :"مالك بن نبي حياته وآثاره " ،وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ط1 ،2011 ،ص 05.

النشاطات التي زخرت بها الحياة السياسية والثقافية في القاهرة، كما دأب على عقد ندوات فكرية في بيته صبيحة يوم الجمعة، يحضرها الطلاب من مختلف الجنسيات الإسلامية، فتعرف مالك على "عبد الصبور شاهين"، الطالب في جامعة عين شمس، إذ قام هذا الأخير بترجمة أهم كتب بن نبي إلى اللغة العربية، مما جعلها تلقى رواجًا في أنحاء العالم الإسلامي الرحب، واستدعاه محمد أنور السادات الأمين العام للمؤتمر الإسلامي آنذاك، ليكون مستشارًا ، ثم عاد مالك إلى الجزائر في عام 1963، فعين مديرًا عامًا للتعليم العالي، كتب مقالات ما بين 1964 و1968 في المجلة الأسبوعية "الثورة الإفريقية" وصحيفة" المجاهد" التابعتين لحزب جبهة التحرير الوطني.

وفي 1967 استقال من منصبه بعد أن تعرض لعدة مضايقات من بعض رجال السلطة القائمة. وتفرغ للعمل الفكري، وفتح بيته الواقع في شارع "روزفلت" للطلبة، لحضور ندواته الأسبوعية يوم السبت والأحد.

وخلال الأسبوع يقوم بإلقاء المحاضرات في مختلف الجامعات الجزائرية تحولت ندوة مالك سنة 1968 إلى ملتقى للفكر الإسلامي، وانعقد المؤتمر الأول في ثانوية "عمارة رشيد" بمدينة بن عكنون قرب الجزائر العاصمة. وصار هذا الملتقى سنويًا، يشارك فيه كبار العلماء والمفكرين المسلمين والغربيين.

وفي أواخر حياته عانى مالك إرهاقًا كبيرًا وآلامًا في عينيه ورأسه بعد سقوطه في الأدراج عند خروجه من البيت، ورغم علاجه في الخارج، بقي متأثرًا بهذه الحادثة إلى أن توفي في 31 أكتوبر 1973 في الجزائر، تاركًا وراءه الكثير من الكتب والمخطوطات، طبع جزء منها في الجزائر ومصر وسوريا ولبنان، كتب معظمها باللغة الفرنسية وقليلاً منها بالعربية.

ومن أهمّ هذه المؤلفات.

- الظاهرة القرآنية 1947.
- لبيك 1948.
- شروط النهضة 1949.

- وجهة العالم الإسلامي 1954.
- فكرة الأفريقية الآسيوية 1956.
- نداء الجزائر 1957.
- مشكلة الثقافة 1959.
- فكرة كومنولث إسلامي 1960.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة 1960.
- في البناء الجديد 1960.
- تأملات 1961.
- في مهبّ المعركة 1961.
- ميلاد مجتمع 1962.
- آفاق جزائرية 1964.
- مذكرات شاهد القرن ج1 1965.
- إنتاج المستشرقين 1967.
- مذكرات شاهد القرن ج2 1970.
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1971.
- المسلم في عالم الاقتصاد 1974.
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين 1974.
- بين الرشاد والتيه 1978.
- من أجل التغيير 1989.
- القضايا الكبرى.
- مجالس دمشق 2005.

فقد رحل مالك بن نبي رحمه الله، وترك أفكارًا ناضجة تنتظر من يعيدها إلى الحياة، لتأخذ بيد الشعوب الإسلامية وتعيدها إلى دورة الحضارة الإنسانية التي خرجت منها لأسباب كثيرة ومتنوعة، وما على الفرد المسلم اليوم إلاّ أن يسهم من موقعه في العودة بنهوض نفسه أوّلا ومجتمعه ثانيا وأمته بعد ذلك .[1]

[1] ينظر مولود عويمر:"مالك بن نبي حياته وآثاره"، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، الجزائر- ط1- 2011- ص3ـ29.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم برواية ورش.**

أ) الكتب:

1-آبادي شمس الحق العظيم :"عون المعبود شرح سنن أبي داود"،دار الحديث،القاهرة[دط2001

2-ابن خلدون عبد الرحمن: "المقدمة"، تحقيق درويش العويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999.

3-أبوريدة محمد عبد الهادي: "الإسلام والحضارة"، ج3، تحقيق فيصل بدير عون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2011.

4-إسماعيل محمد حمزة: "المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 ،2006.

5-ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: "تفسير القرآن العظيم" ج3، دار الفكر، بيروت، ط1، 1969.

6-ابن منظور أحمد: "لسان العرب"، ج12، ج13، دار صادر، بيروت، ط6، 1417هـ/1997م.

7-أركون محمد: "العلمنة والدين الإسلامي"، دار الساقي، بيروت، ط3، 1996.

8- النووي يحي بن شرف :" صحيح مسلم بشرح النووي"،المكتب الثقافي،القاهرة ،[دط] 2001

9-بدوي محمد: "قاموس إكسفورد المحيط"، إنجليزي عربي، دار أكديميا، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

10- البوطي سعيد رمضان: "منهج الحضارة الإنسانية في القرآن"، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 1998.

11- بن نبي مالك: "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث" مكتبة عمار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1970.

12-"فكرة كمنويلث إسلامي"، ترجمة الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط9، 1430هـ/2009م.

13- "في مهب المعركة"، دار الفكر، دمشق، 1986.

14-"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، مكتبة عمار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1971.

15-" ميلاد مجتمع" ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الإنشاء، طرابلس، [دط]، 1974.

16-"الظاهرة القرآنية"، دار الفكر، دمشق، ط3، 1986.

17-"وجهة العالم الإسلامي"، تحقيق عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط1، 1959.

18-بونت بيار وإيزار ميشال: "معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا" ترجمة مصباح الصمد، مؤسسة مجد، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ/2006م.

19-الجفري إسماعيل البخاري :"صحيح البخاري " ، دار الهدى ، الجزائر،[دط]ن1992

20-حسنة عمر عبيد: "الوراثة الحضارية" المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 2003.

21-الحسن إحسان محمد: "دراسات في علم الاجتماع الديني"، مطبعة السلام، بغداد، ط1، 1984.

22-حسن حسين الحاج: "حضارة العرب في عصر الجاهلية"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2006.

23-حوى سعيد: "الإسلام"، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988.

24-الخشت محمد عثمان: "مدخل إلى فلسفة الدين"، دار قباء، مصر، ط1، 2001.

25-خفاجي محمد عبد المنعم: "الإسلام والحضارة الإنسانية"، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، [دط]، 1982.

26-داود جرجس داود :"أديان العرب قبل الإسلام"المؤسسة الجامعية للدراسات ،بيروت ط3، 2005.

27-ديورانت وول "قصة الحضارة" ترجمة زكي نجيب محمود، تحقيق محيي الدين صابر، بيروت، ط1،[دت].

28-ديوي جون :"المدرسة والمجتمع"، ترجمة أحمد حسين عبد الحميد، دار الحياة، بيروت، ط1،[دت].

29الرحيلي عبد الله ضيف الله: "الأخلاق الفاضلة"، وكالة مطبوعات البحث العلمي، السعودية، ط3، 2009.

30-زيدان جرجي: "تاريخ آداب اللغة العربية"، ج1، موفم للنشر، مصر، [دط] ،1993.

31- زيدان عبد الكريم: "أصول الدعوة"، مكتبة القدس، مصر، ط4، 1991.

32- السمرائي عبد المجيد: "تاريخ حضارة المغرب والأندلس في عهدي المرابطين والموحدين"، دار شموع الثقافة، ليبيا، ط1، 2002.

33-السحمراني أسعد: "مالك بن نبي مفكرًا إصلاحيًا"، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986.

34-الشرقاوي عفت: "أدب التاريخ عند العرب" مكتبة الشباب، القاهرة [دط]، [دت]

35-الأصفهاني أبو فرج: "الأغاني" تحقيق حسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 2002.

36-الأصفهاني الراغب :"معجم مفردات ألفاظ القرآن " ،ضبطه إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، ط1، 1997/1418 .

37-الطنطاوي علي: "تعريف عام بدين الإسلام"، دار النشر والتوزيع، الجزائر،ط5 2001-38-

عدوان عصام: "مشكلات العالم الإسلامي الثقافية والفكرية والدينية ومعالجتها في فكر مالك بن نبي"، دار الصفاء، عمان، [دط]، 2008.

39-العقاد عباس محمود: "الإنسان في القرآن الكريم"، مكتبة رحاب، الجزائر، [دط]،[دت].

40-عويمر مولود: "مالك بن نبي حياته وآثاره" وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط1، 2011.

41-الغزالي أبو حامد: "إحياء علوم الدين"، ج3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة [دط]، [دت].

42-فحلة حسين رمضان: " مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام"، دار الهدى، الجزائر، ط1، 1989.

43-فرويد سيقموند: "مستقبل وهم"، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة ، بيروت، ط4، 1998.

44-قطب سيد: " التربية الإسلامية في ظلال القرآن"، إعداد عبد الله ياسين، دار الشهاب، الجزائر، [دط]، [دت].

45-قطب سيد: "في ظلال القرآن" ج27، دار الشروق، القاهرة، ط16، 1990.

46-قطب محمد: "منهج الفن الإسلامي"، دار الشروق، بيروت، ط6، 1983.

47-الكلابذي أبو بكر محمد: "التعرف لمذهب أهل التصوف"، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبات الكليات الأزهرية، القاهرة، ط2، 1980.

48-الماوردي أبو الحسن محمد: "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، تحقيق علي بن محمد المغربي، دار الأرقم، الكويت، [دط]، 1406هـ.

49-مؤنس حسين: "الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطوّرها"، عالم المعرفة، الكويت، [دط] ،1978.

50-وليم جان بول: "الأديان في علم الاجتماع"، ترجمة نسيمة بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001.

51-الويشي عطية فتحي: "الحضارة وإشكالية المصطلح" ج1، كلبية الدعوة الإسلامية، طرابلس [دط] ، 1999.

ب) الدوريات:

1-مجلة: "الحضارة الإسلامية"، المعهد الوطني للتعليم العالي والحضارة الإسلامية، وهران، ع4، شعبان 1419هـ/ نوفمبر 1998م.

2- موسوعة: "الحضارة الإسلامية"، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، العدد 04، سنة 1426هـ/2005م.

3- موسوعة: "الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية"، دار الفكر العربي، المجلد 05، القاهرة، 2008م.

4-مجلة: "الواقع الديني اليوم" المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، سنة 1999.

ج) الرسائل الجامعية:

1-سنايسي رابح: "الفكر الديني المعاصر في الجزائر"، دكتوراه الدولة في الأدب جامعة تلمسان، 2001/2000.

2-سيب عبد الرزاق: "الثقافة وعلاقتها بالصحة النفسية (الدين والمثل الشعبي)" رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة تلمسان، 2010/2009.

3-فقيه العيد:"التجربة الصوفية كمصدر لبناء تصور حول الصحة النفسية" دكتوراه في علم النفس العيادي، جامعة تلمسان، 2005/2004.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

- الإهداء
- كلمة شكر وتقدير
- مقدمة ..... أ
- مدخل : مقومات النهضة عند العرب قبل الإسلام 1
- **الفصل الأول: الأسس الحضارية في تفكير مالك بن نبي** 5

أولا: تحديد المفهوم 6

أ)مفهوم الدين..... 6

1) لغة 6

2) اصطلاحا 6

ب)مفهوم الإسلام 9

1) لغة 9

2) اصطلاحا 10

ج)مفهوم الحضارة 12

1) لغة 12

2) اصطلاحا 13

ثانيا: التوجه الفكري عند مالك بن نبي 17

أ) المنطق (العقل) 17

ب)الأخلاق 19

ج) الفاعلية 24

د) الشهادة 27

الفصل الثاني: عوامل البناء الحضاري عند مالك بن نبي 28
أولا: عناصر البناء الحضاري 29
أ) الإنسان الحضاري 29
ب)الزمن 33
ت)التراب 36
ثانيا: العوالم عند بن نبي 40
أ) عالم الأفكار 40
ب)عالم الشخوص 43
ج) عالم الأشياء 44
الفصل الثالث: القيم الإسلامية كمحرك حضاري 45
أولا: ضوابط القيم الإسلامية 46
أ) الضابط المفهومي 46
1)الأحكام 46
2)المقاصد 50
ب)الضابط التعبدي 51
1) الفقهي (الروحي) 51
2) الصوفي (القلوب) 53
3) الاستخلاف 54
ج) الضابط الاجتماعي 56
1) الأمة 56
2) الانتماء 58

3) رسالة للإنسانية 59
ثانيا: الوظيفة الحضارية للقيم الإسلامية 61
أ) الوظيفة الروحية 61
ب)الوظيفة الاجتماعية 62
ج) الوظيفة السياسية..... 64
د)الوظيفة الاقتصادية 65
هـ) الوظيفة الجمالية 66
- خاتمة 68
- ملحق: مالك بن نبي حياته وآثاره 71
- قائمة المصادر والمراجع 77
- فهرس الموضوعات 83